الدين وما بعد الحداثة عند "هانس كونج"

أ.م. د/ علي حسين قاسم(*)

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة المعنونة بالدين وما بعد الحداثة عند "هانس كونج" إلى فهم الدين، وأبعاده عند "كونج" عامة وموقفه الجدلي خاصة في تعامله النقدي مع القضايا الشائكة في عصر ما بعد الحداثة سواء خارج الكنيسة مثل الحرية الدينية، والبعد عن العنف و حقوق الإنسان وغيرها أو داخل الكنيسة مثل العصمة البابوية واللاهوت النسوي، وتأويل النصوص اللاهوتية من خلال منهج النقد التاريخي بهدف العودة إلى النصوص الأصلية للكتاب المقدس واستبعاد ما هو أسطوري .كل ذلك كي تقوم الأديان بدورها في تحقيق السلام والتسامح والمصالحة بين الأمم، وهذا الأمر لا يتأتى إلا من خلال الحوار بين الأديان ، هذا الحوار الذي يتطلب السعي نحو تحقيق معايير عالمية للأخلاق تشترك .فيها كل الأديان والفلسفات من أجل الانفتاح على الآخر والانتقال إلى مرحلة ما بعد الدين عن طريق العلاقة بين الدين والعلم.

الكلمات المفتاحية: الدين، الحوار، العصمة البابوية، الأخلاق، ما بعد الحداثة، النقد التاريخي.

Abstract

This study, entitled "Religion and Postmodernism according to Hans Kung," seeks to understand religion and its dimensions according to Hans Kung in general, and his dialectical position in particular in his critical dealing with complex and difficult issues in the postmodern era, both outside the church: such as religious freedom and distance from violence, and human rights and others, or within the church: such as papal infallibility, feminist theology, and the interpretation of theological texts through the method of historical criticism. This aims to return to reading the original texts of the Bible and exclude what is legendary from them. The goal of all this is for religions to play their role in achieving peace, tolerance and reconciliation among nations. This matter can only come through "interreligious dialogue." This dialogue requires striving to achieve universal standards of ethics shared by all religions and philosophies, in order to be open to others and move to the post-religious stage through the relationship between religion and science.

key words: Religion - Dialogue - Papal Infallibility - Ethics – Post modernism - Historical Criticism.

(*) أستاذ مساعد بقسم الفلسفة كلية الآداب– جامعة سوهاج.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

مقدمة:

يعد فيلسوف الدين واللاهوت الكاثوليكي التقدمي، السويسري النشأة الألماني الجنسية "هانس كونج" Hans Kung (١٩٢٨-٢٠٢١م) الذي رحل عن عالمنا المعاصر وقد تجاوز العقد التاسع عن عمر يناهز الثالثة والتسعين من أعمدة فلسفة الدين واللاهوت بل ربما أشهر اللاهوتيين في النصف الثاني من القرن العشرين حتى وقتنا الحالي؛ وذلك لما اتسم به فكره من عمق من خلال مشروعه الفكري الكبير في الأخلاق والدين الذي هدف إلى تحقيق السلام العالمي بين الشعوب حيث طرح من خلاله قضايا تتعلق بفهم وتأويل فلسفة الدين واللاهوت النقدي الذي يرتكز على دعائم أنثروبولوجية وعلمية تهدف إلى إعلاء إنسانية الإنسان من خلال تفكيكه للنصوص الدينية وقضايا الوحي والنبوة والتعددية الدينية وحوار الأديان والحضارات لا صدامها.

ولعل أهم ما اتسم به موقفه الجدلي في علاقته بالكنيسة هو دعوته لرؤى إصلاحية وتجديدية كان لها صداها داخل الكنيسة، وخارجها حيث آمن بالحرية الدينية، والكرامة الإنسانية وحرية الضمير، وضرورة انفتاح الكنيسة على العالم والأديان الأخرى، ودعوته إلى لغة كونية على غرار لغة "الاسبرانتو"Esperanto وأخلاق عالمية لها مبادئ، وأسس على شاكلة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان- الصادر عام ١٩٤٨م- أي أخلاق لا تحل محل النصوص المقدسة الموجودة في سائر الأديان ولا تستبعدها بل هي دعم، وتأييد لهذه الأديان لأنها تستند على القيم المشتركة الموجودة في سائر الأديان ومقاصدها، وإن مثل هذه الأمور جرت عليه غضب واستياء قادة الكنيسة ورجالاتها.

إن القضية الأساسية التي شغلت فكر "كونج" كيف يمكن تحويل الدين من مجرد كونه دينًا مؤسسيًا تبريريًا قائمًا على الرجعية إلى دين تنويري لحياة تسودها القواعد الأخلاقية العالمية والعلمية المشتركة؟ وكيف يمكن أن نَحُل التسامح الديني تجاه كل الأديان محل الفكر الديني المنغلق على ذاته؟ كيف نستعيد الإنسانية الحقة من خلال الديانة الحقة فحسب؟ أي كيف يمكن العودة بالدين إلى جذوره الأصلية، وكيف يمكن جعل الدين متسعًا ليشمل المتدينين وغيرهم من الملحدين، واللاأدريين، والعلمانيين دون الإخلال بجوهر الدين؟ كيف يمكن إحلال السلطة الأخوية الماسونية محل البطريركية داخل الكنيسة ؟

على هذا الأساس أعاد "كونج" النظر في بعض العقائد اللاهوتية المثيرة للجدل مثل الخطيئة الأصلية والثالوث والقيامة والخلاص والسيادة البابوية المتمثلة في عصمة البابا التي رآها فكرة قابلة للنقاش وليس من المسلمات (كما كان يُعتقد سابقًا) وكذلك العبارة القائلة "لا خلاص خارج الكنيسة" وغيرها. كل ذلك انطلاقًا من مهمته المتمثلة في إصلاح طبيعة الكنيسة

الكاثوليكية، من أجل مواكبة العصر وأن تجدد ذاتها باستمرار من أجل وضع الإنسان على الطريق الصحيح وإن كان هذا الأمر يتعارض مع اللاهوت التقليدي، ومن ثم حاول تقديم قراءة جديدة للنصوص المقدسة تعتمد على العقل إيمانًا منه بأن هناك تحريفات وتبديلات وإضافات سادت وشابت النص المقدس بعد صلب "يسوع" في فترة من الفترات ولا سيما في القرنين الثالث، والرابع الميلادي نتيجة المؤثرات الفلسفية والرومانية، وبالتالي قام بقراءة تفكيكية Deconstruction للنصوص المقدسة التي غلب عليها- في رأيه- النزعة الأسطورية من أجل إعادة البناء، ومن ثم الابتعاد عن حرفية النص الديني، والسعي نحو فهمه عن طريق التأويل. كل ذلك شكل لديه ما يُعرف بالحداثة اللاهوتية، وإن شئت فقل علمانية لاهوتية وبالتالي طالب بتبني لاهوت يتسع للجميع سواء أكان متدينًا أم علمانيًا وذلك من خلال حوار نقدي ونادى بلاهوت نسوي يحقق المساواة كضرورة ملحة في عصر ما بعد الحداثة Post Modernism بدلاً من الامتيازات التي يتم منحها لصالح الرجال، وخصص لذلك كثابًا أسماه "المرأة في المسيحية" عام ٢٠٠١م.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا أعاد "كونج" النظر في بعض القضايا العقدية؟

إن "كونج" يعي جيدًا أن هذه القضايا تمثل العقبة الكؤود في حوار الأديان فأراد أن يعيد بناء مثل هذه القضايا كي يقطع الطريق على أصحاب الديانات الأخرى للخوض في مثل هذه القضايا الشائكة والبحث عما هو مشترك بين الأديان.

من هذا المنطلق يمكن القول بأن وجهات نظر "كونج" اللاهوتية اتسمت بالتحول والتطور من مشكلات موجودة بالفعل داخل الكنيسة أراد أن يتصدى لها مثل مبدأ العصمة، والخلاف بين الطوائف الكنسية واللاهوت النسوي إلى مرحلة أسمى تتعلق بتأويل قضية الكريستولوجي، وكذلك النصوص المقدسة وتفكيكها ومنها إلى موضوعات عالمية مثل الحوار الديني سواء الحوار على مستوى الكنائس، والارتقاء بعد ذلك إلى مستوى الأديان، واللاهوت، ومشروع الأخلاق العالمية.

اشكالية البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدة تساؤلات، لعل أهمها:

- ما أبرز التحولات الفكرية واللاهوتية النقدية عند "كونج"؟
- ما مفهوم "كونج" للدين وأبعاده ووظيفته؟
- ما المنهج الذي اتبعه "كونج" في قراءة النص الديني؟

- ما أثر الاتجاهات الفكرية المتمثلة في الحداثة وما بعد الحداثة والعولمة في الدين؟
- ما الطريق الذي اتبعه "كونج" لربط ما هو متنافر في العلاقة مع الدين؟
- ما مفهوم الحوار وأبعاده عند "كونج"؟
- كيف يمكن تحقيق تأويل ديني لروح الحوار والسلام لخدمة المصالحة بين الأديان؟ وما آليات المصالحة بين الأديان؟ وهل نجحت فكرة المصالحة بين الأديان عند "كونج"؟

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال المنهج التحليلي في تناول أفكار" هانس كونج" عن طريق تحليل مصادره الأصلية بهدف الوصول إلى مراميه الباطنية، واستخدام المنهج المقارن بمعناه الواسع الذي يبرز مواطن التأثير والتأثر بينه وبين معاصريه والتطور والتحول الذي شاب فكره، والمنهج النقدي في تقييم أفكاره بالإضافة إلى المنهج التأويلي الذي يعيننا على فك الأقفال وحل الطلاسم، وتأويل ما غَمُضَ من أفكار مضمرة تعمَّد إخفاءها.

محتوى البحث:

سوف يتم تقسيم البحث إلى أربعة موضوعات جاءت على النحو الآتي:

١- جدل التحولات الفكرية واللاهوتية النقدية عند" كونج"

٢- مفهوم الدين، وأبعاده، وأثر الاتجاهات الفكرية (الحداثة وما بعد الحداثة) في مستقبل الدين.

٣- إشكالية الحوار الديني ومبادئه، وأبعاده .

٤- آليات التصالح بين الأديان في عصر ما بعد الحداثة.

توطئة

ما قبل القراءة

دأب الفلاسفة والمتفلسفون – قديمًا- على تناول الفلسفة بما نطلق عليه اليوم التفكير الناقد Critical Thinking أو منهجيات القراءة في الفكر المعاصر والغرض من ذلك هو تطوير منهج "ديكارت" R.Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠م) في القاعدة الرابعة من قواعد منهجه التي تتضمن تقديم المراجعات الشاملة التي تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا، وذلك للكشف عن مواطن الغموض أو الاضطراب أو الاتساق تبعًا للخطاب المطروح بغض

النظر عن بنية الخطاب المؤول وذلك لفك الرموز ورفع الستائر لإزالة ما غمض أو ما يتعمد الكاتب ستره ، واحتجابه وهو ما طبقه "سبينوزا" Spinoza (١٦٣٢-١٦٧٧م) على الدين والعقائد الكنسية المقدسة وفحص اللغة التي تمت بها كتابة، أو تدوين الكتاب المقدس.

ولعل خطاب "هانس كونج" من هذه الشاكلة يبدو واضحًا ومباشرًا، في حين أنه لا يخلو من الألغام والممرات التحتية التي ترمي إلى مقاصد غير مباشرة وذلك تبعا لما يتعمد إخفاءه في وجهته الفلسفية المتوائمة مع طبيعته الذهنية باعتباره مفكرًا ماسونيًا في المقام الأول. ويبدو ذلك بوضوح في الأفكار الرئيسية التي سوف تكشف عنها الصفحات التالية، لذا عمدت في هذه التوطئة التنبيه على تلك الغوامض والمتاهات التي توجد في مؤلفات ذلك المفكر الراهن الذي طالما خدع المترجمين ومن سار على شاكلتهم من الباحثين بعباراته المرنة التي تأخذ الأبصار، والأذهان إلى مرامي بعيدة كل البعد عن هدفه الأساسي متمثلا في ذلك الفكرين الألماني والانجليزي في كتاباتهم المشفرة، وقد انتحل هذا الدرب من الكتابة في الحضارة الشرقية "ابن المقفع"(٧٢٤-٧٥٩م)، و"أحمد فارس الشدياق"(١٨٠٤-١٨٨٧م) وهما من أكثر المفكرين غموضًا. وفي التراث الصوفي القديم نجد "الحلاج"(٨٥٨-٩٢٢م) ، و"السهروردي" (١١٥٤-١١٩١م) ، و"محيي الدين ابن عربي"(١١٦٥- ١٢٤٠م)، و"عبدالحق بن سبعين" (١٢١٧-١٢٦٩م) ، وغيرهم من أعلام الصوفية. ولعل من غير المستبعد أن يكون "كونج" قد تأثر بهم جميعًا غربيين وشرقيين ونستدل على ذلك بتنوع مصادر ثقافته وعلى رأسها الثقافة الكرشونية التي انتقلت إلى لغات متعددة وهي لغة أو طريقة في الكتابة تناقلها أرباب الديانات السرية إذ تجمع بين اللغة السريانية والحروف العربية على نحو يجعل دلالاتها صعبة المنال. ومن أمثلة ذلك الغموض والتعمية:

أولاً: إن كتاباته اللاهوتية عن المسيحية تبدو في ظاهرها أقرب لدروس الأحد من حيث العبارات العاطفية الوجدانية المولعة بالقيم المسيحية، في حين نجده بين السطور ينتقد بنية تعاليم المسيح، ورسائل "بولس" ويُعلي من شأن التجربة الإنسانية والديانة العالمية، أو فكرة ما بعد الدين التي طرحها في غير موضع من كتاباته وجميعها أفكار ماسونية، وخير شاهد على ذلك التحولات الفجائية التي طرأت على نسقية أفكاره من الكاثوليكية إلى البروتستانتية ومنها إلى العلمانية ثم إلى الماركسية ثم إلى ما بعد الدين ومنها إلى ما بعد الروح أو ما بعد التصوف. ولعل خصوماته، ومصاولاته مع معظم باباوات الكاثوليكية في الفترة الممتدة من ١٩٥٧-٢٠٢١م خير شاهد على مخالفاته العقدية التي احتار المؤولون من النقاد في تفسيراتها وتأويلاتها.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

ثانيًا: نألفه تقدميًا في حديثه عن الواقع المعيش وما فيه من احتياجات إنسانية لا يمكن للكنيسة تلبيتها، وهي في ثوبها البابوي قابعة خلف أسوارها العالية التي تعزلها عن العالم الخارجي مسربلة بملابسها الفضفاضة التي تخفي رغباتها الحقيقية التي يصعب الوقوف على مكنونها خوفا من اتهام العقل بالهرطقة أو التجديف. ومن الخير أن تفتح الكنيسة صفحات الكتاب المقدس وتطلق العنان للعقل كي يتعمق فيما تتضمنه اصحاحاته وأسفاره التي مازال الإنسان المعاصر يعجز عن فهمها كما كان الحال في العصر الوسيط.

ثالثًا: إذا ما تحدث عن الإسلام من خلال حواره مع المستشرق الألماني "جوزيف فان إس" Josef van Ess (١٩٣٤-٢٠٢١م) ومن خلال مجلده الضخم (الإسلام: الماضي والحاضر والمستقبل Islam: Past, Present and future) نألفه سلفيًا متصوفًا قريب الشبه بالدراويش في تغنيه بمآثر النبي الخاتم ﷺ() وصحابته وأتباعه ثم نجده يصور أن هذا العصر الذي عاش فيه "محمد"(ﷺ) وأصحابه أقرب إلى العصر اليوتوبي المفقود مثل جزيرة أطلنطا وذلك بفعل الدس والانتحال الذي طرأ على أقوال النبي من جهة وتسلل إلى معتقدات الفرق الكلامية (المرجئة، والخوارج، والشيعة) من جهة ثانية، ثم أضحى الإسلام ثقافة شاغلة بمئات الأسئلة التي عجزت العقول الاسلامية الحديثة والمعاصرة في استنباطها من التراث العقدي والفقهي الذي أُهمل غربلته وتحقيقه من جهة ثالثة. الأمر الذي يقتضي قيام أصحاب الرأي من الغيورين على الإسلام القيام بثورة تنتقل فيها الأذهان من طور الشروح، والتعليقات إلى طور التحديث ومنهما إلى طور العلم والنقد الذي يفضي في نهاية الأمر إلى ما بعد الدين، والثيوصوفية Theosophy حيث الجمع بين العلم والتصوف، واستحالة القيم المُرغبة إلى مبادئ عملية تنقذ البشرية، والبيئة الطبيعية مما نحن فيه. وكل ذلك بالطبع هو ما يتردد خلف ستائر الكتابات الماسونية حيثُ ما بعد العولمة كذلك لم يغفل "كونج" في مجلده عن الإسلام حالة التردي التي أصابت العالم الاسلامي المعاصر.

رابعًا: إذا ما بحثنا عن نهجه في إقامة السلام العالمي بين الاديان والمعتقدات والمذاهب والأفكار نجده يلجأ إلى الدين ليستنهض الحث الأخلاقي المشترك بين سائر الأديان الوضعية والسماوية مستعينا بمشرطه الليزري لبتر، وكيّ ما يراه من علل الخصومة والصراع والعنف بين جميع الأفكار. وتبدو كتاباته مستغرقة في المثالية المابعد كانطية، في حين أنها تنطق بلسان الصهيو– ماسونية الأمريكية ويشهد بذلك حواره مع المفكر اليهودي "بينشاس لابيد" Pinchas Lapide (١٩٢٢ –١٩٩٧م)الذي يفضح صهيونيته، وإن تخفت برداء يهود الدونمه (الذين ظهروا في مدينة أزمير بتركيا في القرن السابع عشر ومهدوا للحركة الصهيونية).

١- جدل التحولات الفكرية واللاهوتية التي مر بها "هانس كونج":

تأثر "كونج" بالفلسفة الوجودية في أطروحتيه للماجستير والدكتوراه: حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٥٢م عن أطروحته التي دارت حول "الإلحاد الإنساني" عند "سارتر"Sartre (١٩٠٥-١٩٨٠م) وفي السنوات الأربع التالية انتقل إلى فرنسا لدراسة اللاهوت في الفترة من ١٩٥٥-١٩٥٧م وتوجت هذه الفترة بحصوله على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٧م من المعهد الكاثوليكي بالسوربون إشراف" لويس بوييه" Louis Bouyer (١٩١٣-٢٠٠٤م) والتي عنوانها التبرير[١]Justification عند "كارل بارت"K.Barth (١٨٨٦-١٩٦٨م) والتأمل الكاثوليكي[٢] حيث تأثر بـ" كارل بارت" بعمق وتوصل في كتابه المسيحية: الماهية والتاريخ والمستقبل Christianity: Essence, History and Future إلى أن جميع الاختلافات الجدلية بين اللاهوت الكاثوليكي والبروتستانتي (بارت) حول العقيدة وكذلك بين الكنيستين قد بنى أساسًا على تأويلاتهما المتباينة وفهمهما لقضية التبرير المثيرة للجدل ومؤكدًا على أن هذه الاختلافات لا تستدعي الانقسام في محاولة منه لإزالة الفوارق بينهما من أجل وحدة الكنيسة[٣].وقد حاز هذا العمل على إعجاب أساتذته في روما، وباريس بالإضافة إلى دائرة المحيطين بالبابا" بيوس الثاني عشر" Pius xii (١٨٧٦-١٩٥٨م)[٤] ولقد تم نشر هذه الأطروحة كتابا في عام ١٩٦٤م وتضمن الكتاب رسالة من "كارل بارت" يشهد فيها بأنه يتفق مع ما أعده "كونج" عن لاهوته، وفي هذا الكتاب رأى "كونج" بأن "بارت" شأنه شأن "لوثر"M.Luther (١٤٨٣-١٥٤٦ م) وأن كليهما قد بالغ في رد فعله ضد الكنيسة الكاثوليكية التي على الرغم من عيوبها إلا أنها كانت، وما زالت تمثل جسد المسيح[٥] ولقد استخدم "كونج" الجدل الهيجلي في فهمه للتبرير بين البروتستانت والكاثوليك.

---

(١) التبرير: يعرف "كونج" التبرير-كما فهمه من العهد الجديد على لسان "بولس" ، وكما فهمه "لوثر" ليست عملية ذات أصل خارق للطبيعة تُفهم من الناحية الفسيولوجية، تحدث في الإنسان لكنها حكم الله حيث لا يحاسب الرب الخاطئين على خطاياهم ولكنه يعلنهم أبرارا في المسيح حقًا. انظر:

- Hans kung: Christainity : Essence, History and future, Trans. from German by John Bowden, continuum, N.Y, 1995,p.533.

(2) C. Enrique Espinosa: Orthodoxy and Hersey in Hans kung: An analysis and Critique of his criteria and norms of Christian truth and error, PhD in philosophy, Andrews University, Michigan, 1988, pp. 118- 119.

(3) Hans Kung: Christianity: Essence, History and future, Trans from the Germany by John Bowden, Continuum, N.Y, 1995, p. 543.

(4) Hans Kung: Does God exist? An Answer for today, SCM press, London, 1980, p. 521.

(5) Father John E. Boll: Archbishop Fulton J. Sheen and father Hans Kung differ in their views about women's ordination Sacramento Diocesan Archives, Vol. 2, No. 88, August 12, 1976, p. 4.

لقد أراد "كونج" بعد حصوله على الدكتوراه عن التبرير أن يتقدم للحصول على الدكتوراه في الفلسفة من باريس عن "هيجل"F.Hegel (١٧٧١-١٨٣١م) لكنه تراجع عن ذلك بسبب استدعائه للعمل كأستاذ كرسي اللاهوت بجامعة "توبنجن" عام ١٩٦٠م[١] تلك الجامعة التي تلقى فيها عظماء الفكر الألماني علومهم أمثال "كانط" Kant (١٧٢٤- ١٨٠٤م) و"فيشته"Fichte (١٧٦٢- ١٨١٤م) و"هيجل" و"شلنج" F.Schelling (١٧٧٥-١٨٥٤م) و "بولتمان" Bultmann (١٨٨٤- ١٩٧٦م).

ويعد "هيجل" من فلاسفة الدين الذين تأثر بهم "كونج" بعمق، ولا سيما تركيزه على اللاهوت المسيحي وكيف أصبح الله إنسانًا هذه الرؤية التي تبناها كونج في المرحلة المبكرة من حياته أو ما قبل النقدية التي تمخض عنها أطروحته في التبرير والرؤية التي تفترض الوجود الإلهي المسبق لـ" يسوع" والتأكيد على تجسده فهي رؤية من أعلى لكنه عدل عنها – في المرحلة النقدية– بعد اقتحامه للتدريس في جامعة توبنجن وتغييره لمسار فكره حيث نظر إلى الكريستولوجيا من أسفل أي التأكيد على طبيعة المسيح الإنسانية من خلال النظر إليه من منظور الرسل والتلاميذ الذين عرفوه بصفته معلمًا[٢].

لقد قام "كونج" بقراءة عميقة ومتأنية لأعمال "هيجل" وأطلق على لاهوته اسم اللاهوت التأملي Speculative Theology الذي يجتمع ويتصالح فيه العقل مع الإيمان، حيث يُفهم المطلق بوصفه اتحاد المتناهي باللامتناهي. و رأي "كونج" أن "هيجل" لا يبرر العقائد ولكنه يسعى إلى الفهم فقد أدى الدين عنده دورًا مهمًا منذ شبابه وكان موقفه من الدين موقفًا نقديًا بشكل لا لبس فيه، فلم يكن النقد حجة ضد التزامه الديني بل كان جزءًا من الالتزام الديني حيث تحدث "هيجل" عن مسيحية عقلانية طبيعية تحتج على الخرافة والظلامية، وموجهه بالكامل نحو الفضيلة، والسعادة، والمنفعة ولم يكن نقده للدين بهدف إلغاء الدين، لكن بهدف إعادة بناءه في مجتمع تنويري حديث[٣].

وعلى هذا الأساس فقد بدأ "كونج" حياته اللاهوتية تابعًا للاهوت التقليدي حيث دافع عن التعاليم الكنسية، وناقش مشكلاتها المعقدة من خلال مصطلحات قانونية فإذا نظرنا إلى

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق (الدين والأخلاق في عصر العولمة) ترجمة من الألمانية: ثابت عيد، المركز القومي للترجمة، العدد ١٩٩٩، القاهرة، ٢٠١٥، ص٢٣.

(2) C. Enrique Espinosa: op. cit, pp. 141- 142.

وانظر:

-Corneliu C. Smiut: A critical study of Hans Kung's Ecclesiology from Traditionalism to Modernism, Palgrave, Macmillan, N.Y, 2008, pp. 113-119.

(3) C. Enrique Espinosa: op. cit, pp. 134-135.

كتاباته ومقالاته اللاهوتية المبكرة قبل عام ١٩٦٢م نجد أنه نظر إلى الكتاب المقدس نظرة تقليدية على أنه كلام الله ونظر إلى "يسوع" بوصفه إله، ودافع عن وجهة النظر الكاثوليكية حول الكتاب المقدس التي ترى أنه مصدر خالٍ من الأخطاء، وهو صالح لكل زمان ومكان مؤكدًا على صحة ما جاء في مجمع ترينت Trent حول الوحي الإلهي والكتاب المقدس [١].

لكن حدث لـ" هانس كونج" نوع من التحول أو التغيير في موقفه وقد تجلي ذلك في ثلاثيته المتمردة بداية من كتابه الكنيسة The Church عام ١٩٦٨م وكتابه هل هو معصوم؟ ?Infallible عام ١٩٧١م في إشارة منه إلى نقد عصمة البابا الذي كان يُنظر إليه على أنه يستمد عصمته من الروح القدس The Holy Spirit وأنه فوق مستوى الشبهات والأخطاء منذ المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٧٠م فأكد في كتابه على أنه ليس هناك أحد معصوم من الخطأ سوى الله وحده ثم نشر كتابه "هوية المسيحي" On Being a Christian عام ١٩٧٤م الذي يعد من أكثرها شهرة وشعبية في أنحاء كثيرة من العالم، حيث أعلن فيه تحديه للسلطة الكنسية . تلك الثلاثية التي أعلن فيها عن عصيانه وتمرده على النصوص الدينية واللاهوتية وعلوم الكنيسة ثم توالت بعد ذلك الكتابات النقدية في هذا الصدد فوصف كلمات الكتاب المقدس بأنها مغلفة بالطابع الإنساني فهي- في رأيه- كلمات بشرية وأكد على ذلك في كتابه معصوم[٢] والكنيسة[٣] حيث رأى أن الشهادات الموجودة في الكتاب المقدس شهادات لرجال حقيقيين بكل إنسانيتهم، وتاريخيتهم، وقابليتهم للخطأ ذلك لأن لغتهم ومفاهيمهم في كثير من الأحيان غير دقيقة. أما الثالث "هوية المسيحي" فقد ارتدى فيه "كونج" عباءة "نيتشه" F.Nietzsche (١٨٤٤-١٩٠٠م) وكتابه "هكذا تكلم زرادشت" وأعلن "كونج" منذ البداية أن هذا الكتاب مكتوب للجميع أي أولئك الذين يريدون أن يعرفوا بصدق ما تعنيه المسيحية حقًا، وما الذي يعنيه كون المرء مسيحيا فهو مكتوب للمؤمنين وغير المؤمنين من العلماء، والعلمانيين مكتوب للذين يؤمنون ولم يكتفوا بإيمانهم، مكتوب لأولئك الذين لا يشعرون بعدم الأمان في إيمانهم الذين هم في حيرة بين الإيمان والكفر وبالتالي فهو مكتوب للمسيحيين، والملحدين، والغنوصيين، والتقوية، والكاثوليك الفاترين والمتحمسين، والبروتستانت، والأرثوذكس مكتوب لأولئك الذين لم يعد بإمكانهم أن يجدوا أي ملاذ في الصيغ المعصومة للكتاب

(1) Ibid, p. 137.
(2) Hans Kung: Infallible? An inquiry, Trans. By Edward Quinn, Doubleady, N.Y, 1971, pp. 215-219.
(3) Hans Kung: The Church, Image Books, Garden City, N.Y, 1976, p. 37.

المقدس.[١] ولم يكتف بذلك بل انتقد الكتاب المقدس ورأى أنه ليس الوحي الإلهي ذاته، وإنما مجرد شهادات بشرية عن الوحي الإلهي تظل فيه إنسانية المؤلفين واستقلاليتهم، وتاريخيتهم سليمة دائمًا، فهو يقول "إنني لا أؤمن أولا بالكتاب المقدس، أو حتى بإلهامه علاوة على حقيقة الرسالة التي يقدمها، إنني أؤمن بالله الذي أظهر ذاته في تاريخ إسرائيل للمؤمنين وأخيرًا في رسالة تحررية في شخص "يسوع".[٢] فإيمان "كونج" لا يعتمد على الكتاب المقدس وإنما يعتمد على الله ذاته في "يسوع"، ويطالب بالمعنى الكتابي الحقيقي الأصلي، فصدقه يعني الإخلاص والثبات، وأن الله هو الجدير بكل ثقة واعتماد؛ حيث نلتزم بكلمته، ووعوده.[٣].

كذلك انتقد "كونج" أيضا موقف الكنيسة، والبابا حيث كانت الرسالة التي أصدرها البابا "بولس السادس" تحمل عنوان" الحياة الإنسانية" عام ١٩٦٨م ضد استعمال وسائل منع الحمل وهو الأمر الذي جعل "كونج" يهاجم عصمة البابا المزعومة لكن رد الفاتيكان كان قاسيًا حيث تمت معاقبته في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م بأن سحبت وسلبت الكنيسة منه رخصة تدريس اللاهوت الكاثوليكي في جامعة "توبنجن" ومُنع من دخول الكنيسة بأمر من "البابا يوحنا بولس الثاني" Johanne Paul II (١٩٢٠- ٢٠٠٥م) وظل على هذا الحال حتى حدثت الانفراجة عام ٢٠٠٥م عندما تولى البابا "بندكت السادس عشر" (جوزيف راتسينجر) Benedict xvi (١٩٢٧-) كرسي البابوية حيث عفا عنه واتجه "كونج" إلى الحوار وحاول الابتعاد قدر الإمكان عن جدل العقيدة. لكن رب ضارة نافعة فإن إبعاده عن التدريس طيلة الفترات السابقة قد أعطاه فرصة عظيمة بعد عام ١٩٨٠م لمتابعة مجالات البحث التي كانت تشغله-بشكل مكثف- والتي كان يتطلع إليها منذ فترة طويلة مثل الديانات العالمية والآداب العالمية وأخيرًا مشروعات حول وضع المرأة في المسيحية والذي تم تنفيذه منذ عام ١٩٨٢-١٩٨٧م[٤].

ولعل من العلامات البارزة في فكر "كونج" أنه عاصر العديد من باباوات الكنيسة وعايشهم؛ حيث اتسمت العلاقة بينهم بالشد والجذب تارة، والنقد الاصلاحي تارة ثانية والمطالب الفعالة بالإصلاح تارة ثالثة بداية من البابا "بيوس الثاني عشر" Pius xii (١٨٧٦-١٩٥٨م)، و"يوحنا الثالث والعشرين" Johannes xxiii (١٨٨١- ١٩٦٣م) الذي يعد استثنائيا إذ قدم رؤية دينية إصلاحية لتجديد الكنيسة الكاثوليكية، وأول من اعتلى كرسي الاصلاح البابوي في

(1) Hans Kung: On Being a Christian, Trans. by Edward Quinn, Doubleady and company Inc. Garden city, N.Y, 1976, p. 19.
(2) Ibid, p. 466.
(3) Ibid, pp. 466-467.
(4) Hans Kung: Woman in Christianity, Trans. by John Bowden, continuum, London and N.Y, 2005, p. viii.

العصر الحديث إذ تحدث في منشوراته عن حقوق الانسان والسلام العالمي، وحاول أن يدخل المسيحيين، واليهود في علاقة مع بعضهم البعض وطالب بحوار إيجابي بين الأديان العالمية وهو الذي قام بتعيين "كونج" مستشارًا بمجلس الكنيسة الأعلى وعمره لا يتجاوز الخامسة والثلاثين(١).

أما "بولس السادس" Paul VI (١٨٩٧- ١٩٧٨م) فقد توقف معه شعاع الأمل والتنوير الذي كانت يتمتع به سلفه. ثم جاء بعده "يوحنا بولس الأول" Johannes Paul I (١٩١٢-١٩٧٨م) الذي لقب بالبابا الضاحك الذي توفي بعد ثلاثين يومًا من توليه منصبه وهو ممزق بين الاتجاه القديم والجديد . لذا وُضِعَ المزيد من الأمل في" البابا يوحنا بولس الثاني" أول بابا غير إيطالي يجلس على عرش بطرس منذ مئات السنين، وأظهرت روما أنها منفتحة على العالم الخارجي في المسائل الاجتماعية خارج نطاق الكنيسة لكنها انغلقت على جميع قضايا الكنيسة، والحرية المسيحية، والابداع الروحي.(٢) ثم جاء بعده البابا "بندكت السادس عشر" الذي كان أستاذًا للاهوت العقدي وزميلاً له في جامعة توبنجن لفترة معينة لكنه اختلف معه بسب مواقفه تجاه المعتقدات، والديانات الأخرى، وبخاصة الإسلام(٣).

وعلى أية حال فلم يسلم أي رمز من رموز الكنيسة الكاثوليكية من سهام النقد اللاذع الموجهة إليهم من قبل "كونج"؛ حيث انتقد – على سبيل المثال- أول بابا عاصره وهو "بيوس الثاني عشر" بسبب معاداته لليهود لأسباب لاهوتية حيث رأى أنه لم يهاجم النازية في موقفها من الإبادة اليهودية في أثناء الحرب العالمية الثانية واكتفى بالصمت الوخيم، ولم يتحدث عن خلفيات الهولوكوست، وهو نفس القدر الذي يتحمله البابا يوحنا بولس الثاني فيما يتعلق بمشكلة الانفجار السكاني وما نتج عنها من فقر وتعاسة وخاصة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. أما البابا "بندكت السادس عشر" فقد أوضح أن القتل الجماعي لستة ملايين يهودي جريمة لا نظير لها في العالم، وفي مناسبة أخرى قال أن المحرقة كان من المستحيل أن تحدث لولا وجود نحو ألفي عام من معاداة اليهودية في جميع الكنائس المسيحية تقريبًا.(٤) ومن ثم انتقد "كونج" صمت الكنيسة الكاثوليكية فيما يتعلق بإدانة المحرقة ورأى أن هذا الموقف يجلب الخزي والعار، وتساءل لماذا الرد الصامت والصمت القسري بحق الملايين من البشر.(٥) ومن هنا ناشد "كونج"

(1) Hans Kung: Why I am still a Christian, trans. by David smith, A Bringdon press, Nashville, U.S.A, 1987, pp. 73- 74.

(2) Ibid, pp. 75-77.

(٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٧٠، ص٧٢.

(٤) نفسه، ص ٧٠ -٧٣.

(٥) نفسه، ص٧٣.

المسيحيين بالتخلي عن مركزيتهم الكنسية وإتخاذ نهج أكثر مركزية تجاه اليهود يعترف بالفعل السري لله في العالم الخارجي وليس الكنيسة(١).

وتأسيسًا على ذلك فإننا لا نبالغ كثيرًا إذ قلنا إن من أسباب تحولاته تأثره الشديد بالماسونية العالمية التي ترفع شعارات الأخوة العالمية، والتسامح بين البشر فتنظر إلى ذاتها بوصفها أساس الديانات والفلسفات من خلال طقوسها، ورموزها، وأسرارها ويظهر ذلك جليًا في قوله:" ليس هناك ما يدعونا إلى الخوف من ديانة عالمية جديدة لأن الديانة العالمية شديدة التباين كما أنه ليس هناك ما يدعونا إلى الأمل في تأسيس هذه الديانة العالمية الجديدة لأنه لا يوجد البته في الوضع الراهن سندًا لهذا الافتراض بإمكانية وجودها يومًا ما"(٢).

ويضيف "كونج" بأن ظاهرة الماسونية في مجملها اكتسبت قبولا قويًا معادية للأكليروس في القارة الأوروبية وبصورة أقل في النطاق الانجلو سكسوني(٣).

وعلى الرغم من انشقاقه عن الكنيسة الكاثوليكية، ومنعه من تدريس اللاهوت الكاثوليكي فإنه راح يؤكد في كثير من مقالاته وكتاباته مثل كتاب "هوية المسيحي"، وكتاب "المسيحية"، "ولماذا أنا ما زلت مسيحيًا" Why I am still a Christian على أن إيمانه لم يتزعزع عن الكاثوليكية خاصة، والمسيحية عامة التي تقطن روحه، حيث لم يفقد الأمل في أنه سيظل من الممكن أن يحيا الإيمان المسيحي من خلال الكاثوليكية بمصداقية في الألفية الثالثة من خلال التكريس والنقد التي ستختفي معها بعض مظاهر المسيحية مثل الدوجماطيقية، والأصولية، والنظام الروماني لأنها ليست من جوهر المسيحية(٤) وهذا الموقف منذ الثمانينات عندما قال" لقد توقفت عن الحكم على المسار الحالي للفاتيكان لفترة طويلة لأن الجُرح القديم ما زال يؤلمني بسبب المهام، والتحديات الجديدة لأنني في المقام الأول لاهوتي مسيحي لم أتوقف أبدًا عن اعتبار الكنيسة الكاثوليكية بيتي الروحي، ولم أتوقف عن النظر إلى نفسي بوصفي لاهوتي مسكوني من واجبي العمل على مساعدة الناس في جميع الكنائس المسيحية لكن لم يعد بإمكاني الصمت الأن لأن ما يحدث للكنيسة يغضبني ويحزنني لا سيما بعد الصحوة المجتمعية التي أطلقت شعاعا من الأمل في الستينيات(٥).

(1) Catherine Hodgson: Roman Catholic theological attitudes to Judaism since, 1945, Master of Arts in theology, Durham university, 1988, p. 55.

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٣٩.

(٣) نفسه، ص١٧.

(4) Hans Kung: Christianity: Essence, History and future, op. cit, p. xxii.

(5) Hans Kung: Cardinal Ratzinger, pope Wojtyla and fear at the Vatican, An open word after long science, An essay in the church in Anguish, ed., by Hans Kung and Leonard swindler: Has the Vatican betrayed Vatican 11? Harper and Row publishers, San Francisco, N.Y, 1986, p. 54.

ويمكننا ملاحظة العبارات المراوغة في خطاب "كونج" النقدي للكاثوليكية الذي يبدو فيه صاحب ثوب إصلاحي توجيهي.

لكن السؤال المطروح ما الشروط والواجبات التي يتعين على الكنيسة الكاثوليكية الوفاء بها – في رأي "كونج"- إذا أريد لها أن تكون ملائمة لعصر جديد وأن يكون لها مستقبل في الألفية الثالثة؟

للإجابة عن هذا السؤال نجد أن "كونج" قد طالب الكنيسة بمجموعة من الأمور لعل أهمها:

أ- يجب ألا تعود إلى الوراء بالسقوط في غرام العصور الوسطى أو عصر الاصلاح أو التنوير، لكن عليها أن تعود إلى جذورها، وأصولها المسيحية الأولى من أجل التركيز على مهامها الحالية.

ب-يجب ألا تكون ذات توجه بطريركي أبوي، وتتمسك بالصورة النمطية للنساء، واستخدام لغة ذكورية حصرية، وأدوار جنسية محددة سلفًا، وإنما يجب أن تكون هناك شراكة حقيقية تقبل النساء في جميع الخدمات الكنسية.

ج-يجب ألا تكون الكنيسة ضيقة الرؤية خاضعة للحصرية الطائفية مما يجعلها تفتقر إلى التواصل مع الآخرين، وإنما يجب أن تكون منفتحة مسكونيًا على الحوار، والحرية، والتسامح داخليًا وخارجيًا من أجل تحقيق التضامن الكامل، والشراكة، والقداسة[١].

إن "كونج" على وعي تام بتاريخ المسيحية عامة، والكنيسة خاصة وما ترتب على ذلك من نتائج بالغة الأهمية. يقول "كونج" إنني لا أجهل بأي حال من الأحوال فشل المسيحية في التاريخ فأنا لا أعتزم طمس اخفاقات المسيحية، أو اخفاء عيوبها ليس فقط في اضطهاد اليهود، والحروب الصليبية، ومحاكمات الهراطقة، وإحراق المتهمين بممارسة السحر، والحروب الدينية، ولكن أيضا المحاكمات والإدانات الخاطئة التي لا تعد ولا تحصى لأفكار العلماء، والفلاسفة اللاهوتيين، وكل تدخلات الكنيسة في أنظمة معينة من المجتمع والحكومة والفكر وكل إخفاقاتها الكثيرة في قضايا العبودية، والحرب، والمرأة، والطبقية، والعرف، والتواطؤ المتعمد للكنائس مع حكام مختلف البلدان في إهمالهم الشعوب المحتقرة، والمضطهدة والمستغلة[٢].

(1) Hans Kung: The Catholic church: A short History, Trans. by John Bowden, Weidenfeld and Nicolson, London, 2001, pp. 213-214.
(2) Hans Kung: Why I am still a Christian, op. cit, p.29.

فلو تم الحفاظ على الرؤية الأصلية للكتاب المقدس لكانت المسيحية قد تجنبت العديد من الصراعات مع العلوم الطبيعية منذ "جالليليو" Galileo (١٥٦٤-١٦٤٢م) و"دارون" C. Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢م) ، ومع التاريخ (منذ عصر التنوير) في البداية ولقد حاولت كل من اليهودية، والكاثوليكية، والبروتستانتية منع محاولات النقد التاريخي للكتاب المقدس بالقوة، لكن أخطاء اليهود والمسيحيين هي التي شغلت فكر المسلمين.(١) ومن ثم ربط "كونج" بين الدين، والعلم فأيد نظرية التطور أسوةً بكثير من العلماء، والمفكرين لكن في الوقت ذاته أكد على دور الله في سن القوانين الطبيعية، ونظمها فهو – في رأيه- علة العلل والفاعل الأول أي أنه المُبدع لتلك القوانين التي مهدت الطريق للبشرية وأصبحت على اساسها الحياة يسيرة(٢).

لقد أعلن "كونج" أنه لم يرد من جراء انتقاداته سوى الخير والإصلاح للكنيسة وظل طوال فترة البابا "يوحنا بولس الثاني" بمعزل عن الكنيسة، لأنه هاجم البابا في إحدى فعالياته ورأى أنه كان يتوقع فترة من التحول والإصلاح، والحوار لكن بدلاً من ذلك قام بعرقلة الإصلاح والحوار بين الكنائس، وإعادة تأكيد الهيمنة المطلقة على روما، ولم يسمح له بدخول الكنيسة إلا مع تولي البابا "بندكت السادس عشر" كرسي البابوية، فبدأ علاقة جديدة مع الكنيسة محاولا الابتعاد قدر الامكان عن مناقشة المسائل العقدية واتجه إلى الحوار فيما يتعلق بالأديان والأخلاق الفلسفية على أمل أن تصبح المسيحية أكثر مسيحية، وإيمانية في الألفية الثالثة.

إن هذا الموقف من جانب "كونج" يتشابه مع موقف" سبينوزا" الذي تأثر به "كونج"، فاستشهد به كثيرا في كتاباته، ولعل من أوجه التشابه بينهما تعرضهما لحرمان كنسي فقد تم طرد "كونج" من الكنيسة، كما سبق أن تم طرد" سبينوزا" من كنيس أو معبد أمستردام وتم رفض أستاذيته في هيدلبرج فقد أثبت أنه أحد أوائل المدافعين الحازمين عن حرية الفكر، والايمان، ورائد للنقد الكتابي الحديث، حيث اعتبر الكتاب المقدس ليس كلام الله الموحى به أو المعصوم من الخطأ لكنه وثيقة متناقضة في كثير من الأحيان للإيمان اليهودي الإنساني الحقيقي (٣) وبالتالي ذهب "سبينوزا" كما ذهب "كونج" فيما بعد أنه لم يبق من الدين الأصلي إلا العبادة الخارجية وهي عند العامة أقرب إلى التملق منها إلى عبادة الله إذ لم يعد الإيمان إلا تصديقًا أعمى بأوهام متعصبة تعوق التمييز بين الخطأ والصواب، وتبدو وكأنها وضعت لإطفاء نور

(1) Hans Kung: Islam: past present and future, Trans by John Bowden, one world publications, England, 2007, p. 519.

(٢) حميد رضا نيا : العلاقة بين العلم والدين برؤية هانس كونج، مقال ضمن كتاب اللاهوت المعاصر (٢) دراسات نقدية (العلم والدين) العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت،٢٠١٩م، ص ٤٥٦.

(3) Hans Kung: Does God exist? Op. cit, p. 133.

العقل.[١] وفي هذا الإطار وصف عالم اللاهوت والاجتماع الديني "جوزيه كازانوفا" Jose Casanova (١٩٥١-) "هانس كونج" بـ" مارتن لوثر" العصر الحديث فقد رفض التراجع عن آراءه الإصلاحية، والانصياع للكنيسة الكاثوليكية، ورأى "كازانوفا" أن استمراره – بعد فصله من جامعة توبنجن– مديرًا لمعهد البحوث المسكونية حتى تقاعده عام ١٩٩٦م جعله يواصل مشروعه الجديد حول الأخلاق العالمية من خلال الحوار مع ممثلي الكنائس المختلفة من ناحية، ومع ممثلين ليبراليين من الأديان الأخرى[٢].

ولا يفوتنا أن نشير أيضا إلى تأثر "كونج" العميق بكل من "كانط" و"فيورباخ" Feurbach (١٨٠٤-١٨٧٢م) و"نيتشه"، و"برتراند رسل"B.Russel (١٨٧٢-١٩٧٠م)، و"بولتمان" فإذا نظرنا إلى الأول نجد أن "كونج" فهم المقولات الكانطية بوصفها حداثة، وعقلنة، وعلمنة[٣] . واستشهد بالعديد من آراءه في الدين، والأخلاق، واللاهوت من خلال كتاباته ولا سيما كتابه "الدين في حدود العقل وحده"، وتأسيس ميتافيزيقا الأخلاق " ومشروع للسلام الدائم" ورآه محقا عندما أكد على أن الدين الذي يعلن الحرب على العقل دون تفكر في العواقب لن يتمكن من الصمود أمامه على المدى الطويل، كذلك استشهد "كونج" باللاهوتي الاصلاحي "يورجن مولتمان" J.Moltmann (١٩٢٦-) وصياغته للعبارة الصحيحة المناظرة لرأي "كانط" حيث رأى أن العقل في انتصاره التنويري على ما أسماه الايمان لم يكن قادرا على الصمود بمفرده بل وضع أشكالا غير معقولة للغاية من المصداقية الساذجة. فعبادة العقل كإله–في رأي "كونج"– لم يمنع إرهاب المقصلة إبان الثورة الفرنسية وحتى العلم الذي هو عقلاني للغاية غالبًا ما يعمل بطريقة غير عقلانية تمامًا، ويؤدي أحيانا إلى نتائج غير عقلانية [٤].

أما الثاني فقد دافع عنه "كونج" في كتابه "هل يوجد إله؟" ?Does God exist الذي نشره عام ١٩٧٨م، ورأى أنه على الرغم من إلحاده القاسي فإنه لم يذهب في تأويله للدين أبعد مما ذهب إليه فلاسفة التنوير؛ حيث رأى أن الدين لا ينبغي تأويله بشكل سطحي كما كان سائدًا آنذاك أي بوصفه احتيالًا كهنوتيًا أو وهمًا كبيرًا، بل يجب فهمه على مستوى أعمق.[٥]

(١) سبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة د فؤاد زكريا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١١٥-١١٦.

(2) Jose Casanova: The sacalization of the Humanum A theology for Global, international, Journal politics, culture and society, Vol. 13, No 1. 1999, p. 24.

(3) Ibid, p. 29.

(٤) هانس كونج: العلم والدين بداية كل الأشياء، وهل يمكن أن تكون هناك نظرية واحدة لكل الأشياء؟ ترجمة د. صلاح عثمان، ود. بهاء درويش مراجعة د/ جهاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العتبة المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ١٣، خريف ٢٠١٨، ص١٤٩.

(5) Hans Kung: Does God Exist? Op.cit, p. 202.

أما الثالث فقد اقتبس" كونج" منه في العديد من كتاباته– ولا سيما كتابه "هوية المسيحي" ، و "هل يوجد إله"؟– ونذكر من هذه الكتابات النيتشويه "ما وراء الخير والشر"، و"عدو المسيح"، و"العلم المرح"، و"إرادة القوة"؛ حيث عالج "كونج" أفكارًا تتعلق بالأخلاق، ومفهوم الله، والعدمية النيتشويه.

علاوة على ذلك فقد دافع "كونج" عن "نيتشه" وتساءل ألم يكن "نيتشه" على حق؟ ألم يثبت أنه كان محقًا منذ فترة طويلة فهو فيلسوف ونبي كان له تأثير على الأقل في الكُتاب، والفلاسفة، والموسيقيين وأسهم بشكل حاسم في تاريخ الفكر الأوروبي في القرن العشرين؟ ولا سيما فكره الأخلاقي، والإلحادي، وفكرة "العود الأبدي"، وقد تناول "كونج" بالتفصيل لفكرة موت الإله عنده، ورأى أن هذه الفكرة بشر بها "فيورباخ"، وهو طالب لاهوتي. كذلك فقد اهتم "نيتشه" بدراسة اللاهوت، وانجذب إلى الجانب اللغوي لنقد الأناجيل، ودراسة مصادر العهد الجديد وتصور أن التاريخ، والبحث النقدي التاريخي بإمكانهما تقديم إجابة مباشرة لبعض الأسئلة الدينية، والتاريخية(١).

وعلى الرغم من جميع الانتقادات للدوجماطيقية الكنسية من جانب "كونج" فإنه كان يؤكد في كل مناسبة على أن إيمانه لا يتزعزع فهو إيمان يعتمد على المسيح نفسه، ولا يعتمد على الكنيسة بوصفها مؤسسة يتهمها بالفشل، فـ "يسوع المسيح" هو الفكرة، والحافز الأساسي في تقاليد الكنيسة وطقوسها ولاهوتها. فعلى الرغم من تدني أو انحدار الكنيسة فإن اسم "يسوع" يشبه إلى حد ما الخيط الذهبي لنسيج تاريخ الكنيسة الذي يعمل باستمرار عن طريق الإيمان، على الرغم من أن هذا النسيج غالبًا ما يكون ممزقًا(٢).

أما الرابع فقد تأثر به "كونج"، وبأسلوبه النقدي الإصلاحي للكنيسة الكاثوليكية، وللمسيحية في كتابه "هوية المسيحي" وكتاب "هل يوجد إله؟" ليس هذا فحسب بل ألف كتابًا نقديًا آخر أسماه "لماذا أنا ما زلت مسيحيًا؟" الذي نشره عام ١٩٨٧م لا يتناقض مع كتاب "رسل" "لماذا أنا لست مسيحيًا؟ " الذي نشره عام ١٩٢٤م كما يوحي للقارئ البسيط قبل القراءة، ويكاد يكون الاختلاف الوحيد بينهما هو إعلان "كونج" الظاهري التمسك بمسيحيته، وإعلان "رسل" الواضح عن لا مسيحيته، ومذهبه اللاأدري.

وأرجع "رسل" لا أدريته إلى شيئين هما: عدم إيمانه بالله، وبالخلود، وعدم اعتقاده بأن المسيح هو أكثر الناس حكمة، وأعظمهم شأنًا وهذا يعود في رأيه إلى وجود نقائض في تعاليمه،

(1) Ibid, pp. 340- 403.
(2) Hans Kung: The Catholic Church, op. cit, pp. 9-10.

أو وصاياه يصعب تطبيقها على الرغم من أنه يُكِنُّ له درجة عظيمة من الخير الأخلاقي حسب زعمه.[١] لكن "رسل"، و"كونج" يلتقيان في موقفهما الأخلاقي، والدعوة إلى المحبة، والتسامح، والعدالة، والسلام العالمي، وحقوق الإنسان.

لقد سخر "رسل" من عصمة البابا – كما سخر "كونج" فيما بعد– ورأى أن مثل هذا الاعتقاد ليس له أي جدوى أو آثار إيجابية[٢]، واستشهد "كونج" بـ" رسل" في كثير من كتاباته ورأى أنه كان محكومًا بثلاثة مشاعر بسيطة، ولكنها قوية للغاية وهي التوق الدائم إلى المحبة، والبحث عن المعرفة، والتعاطف مع محن الإنسانية التي لا تطاق. أما من الناحية العملية فقد كان أيضا نصيرًا للسلام، والتعاون، والمحبة، وليس الحرب، ونادى بالحياة الخيرة التي تسودها المحبة، والتي تفضي إلى المعرفة التي ينبغي أن يسير الآخرون على هداها في المجتمع[٣].

أما الخامس والأخير "بولتمان" فقد تأثر "كونج" بمشروعه في تخليص الدين من الأسطورة Demythologizing واستشهد به في معظم كتاباته بل أنه ردد ما سبق أن قاله حرفيًا يقول "كونج": أليس أبسط وأفضل طريقة لجعل الأناجيل مفهومة بالنسبة للإنسان المعاصر هو تخليصه من جميع العناصر الأسطورية من جذورها؟ ألا ينبغي تنقية الأناجيل من كل ما هو أسطوري وإعادة صياغتها بشكل عقلاني [٤] وهو ما سبق أن ذهب إليه "بولتمان" في كتابه" العهد الجديد والأسطورة" [٥].

لقد رأى "كونج" أن الأناجيل بعد تنقيتها وإعادة صياغتها لن تظل كما هي عليه، أي أنها لن تصبح مثل الكوميديا الإلهية Dante's Divine Comedy لـ "دانتي" (١٢٦٥-١٣٢١م) أو أنشودة رولاند Roland الفرنسية أو الفردوس المفقود لـ "ميلتون" Militon Paradise Lost (١٦٠٨-١٦٧٤م) أو" فاوست جوته" Goeth's Faust (١٧٤٩-١٨٣٢م). إن الأمر لا يتعلق بمجرد حذف كبير من بداية، ونهاية الأناجيل(سواء قصص الطفولة أو عيد الفصح أو الدينونة) لكن بين البداية والنهاية هناك ايضا على سبيل المثال قصص المعجزات، والقيامة؛ حيث تتشابك الرسالة مع عناصر أسطورية، وما ينطبق على العهد الجديد ينطبق أيضا على العهد القديم، وماذا سيتبقى من روايات العهد القديم عن خلق العالم، والانسان، وخاصة ما تم اختزاله في بعض العبارات؟ هل يمكننا قراءة هذه الأطروحات الأساسية أكثر من

(1) Bertrand Russel: Why I am not a Christian www.document available at: http://fly.to/russel maintained by Ryan Bredon. 1997.
(2) Hans Kung: Does God exist? Op. cit, p. 611.
(3) Ibid, p. 467.
(4) Hans Kung: On Being a Christian, op. cit, p. 411.
(5)R . Bultmann: New Testment and Mythology and other Basic writings, selected, edited and trans. by Schubert M.Ogden, fortress press, Philadelphia, 1984, pp. 3-10.

قراءة افتراضات لفلاسفة ما قبل "سقراط"، وهم يقدمون آراءهم من الأسطورة حتى اللوغوس الغنوصي[١] يقول "كونج": لقد كتبت الأناجيل لأشخاص يفكرون بشكل أسطوري في زمن الفكر الأسطوري، وقد ظهر ذلك نتيجة المواجهة بين الإيمان التوحيدي والإيمان الوثني القائم على تعدد الآلهة. إن عملية إزالة الميثولوجيا وتاريخها قد تقدمت في العهد الجديد أكثر مما عليه في العهد القديم[٢].

ومن خلال قراءتنا لأعمال "كونج" وتحولاته نجد أنه يأمل في ثورة لاهوتية تكون بوصفها دعوة للإصلاح داخل الكنيسة على غرار الثورة العلمية عند "توماس كون" T.S.Kuhn (١٩٢٢- ١٩٩٦م) وذلك من أجل التخلص من كل ما هو أسطوري في مجال اللاهوت. ومن هذه الزاوية يتساءل هل هناك ثورات علمية في الفلسفة واللاهوت؟ ويجيب على ذلك بأن "توماس كون" بوصفه عالما طبيعيا لا يتعامل مع مثل هذا السؤال لكن يرى "كونج" أنه من الصعب أن ننكر وجود ثورات علمية أيضا في الفلسفة واللاهوت وخير مثال على ذلك التحولات الديكارتيه، والكانطية في تاريخ الفلسفة التي هي أشبه بالتحولات الكوبرنيقية، أما فيما يتعلق بثورات لاهوتية فإن كلمة ثوري تتعارض مع الكنيسة ولا تحظى بقبول كبير في اللاهوت ولا حتى في الكنيسة. لكن لا يمكن انكار وجودها، والتي تتضمن في كثير من الأحيان إحلال نموذج محل آخر عما كان عليه الناس[٣] لذلك يتساءل كونج ألم ينتج اللاهوتيون العظماء من آباء الكنيسة أمثال "كلمنت السكندري" .Clement of Alex (١٥٠-٢١٥م) و"أوريجانوس" Origen (١٨٥-٢٥٤م) ومن بعدهم "أوغسطين" Augustine(٣٥٤-٤٣٠م) أنماطًا جديدة من التأويل؟ ألم يكن قبول "توما الأكويني" Thomas of Aquinas (١٢٢٤- ١٢٧٤م) لـ "آرسطو" Aristotles (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م) ثورة مهمة؟ وكذلك قبول "البرت الكبير" Albert Magnus (١٢٠٦-١٢٨٠) لـ "أرسطو" وماذا يمكن أن نقول عند نقد "لوثر" للاهوت العصور الوسطى؟ وفي المقابل ماذا كانت ردة فعل فلاسفة عصر التنوير، واللاهوت النقدي التاريخي فيما يتعلق بالإصلاح؟ كل ذلك أحدث تغييرات بعيدة المدى في تاريخ اللاهوت والكنيسة على نطاق واسع مما يجعل أن هناك أوجه تشابه إذ على الرغم من الاختلافات بين اللاهوت وعلم الطبيعة فإن هناك تشابهات بينهما فشكوك الإيمان من جانب اللاهوتيين تبدو أحيانًا وكأنها مماثلة لشكوك الفيزيائيين، أضف إلى ذلك أنهما يتشابهان في التحول إلى النموذج الجديد، لكن التغييرات في اللاهوت أقل وضوحًا من تلك الموجودة في الفيزياء[٤].

(1) Hans Kung: on being a Christian, op.cit, p. 412.
(2) Loc cit.
(3) Hans Kung: Does God exist? Op. cit, p. 111.
(4) Ibid, pp. 111- 112.

وصفوة القول فإن المدقق لكتابات" كونج" بعد تحوله من اللاهوت التقليدي إلى لاهوت الحداثة ثم إلى ما بعد الحداثة يجد أنها في مجملها دعوة للإصلاح، والحوار، و النقد، والأخلاق العالمية وتجديد الخطاب اللاهوتي، دعوة لما ينبغي أن تكون عليه الكاثوليكية خاصة، والمسيحية عامة مستندًا في ذلك على خبراته، وقناعاته الشخصية، واعادة تأويل اللاهوت التقليدي بمصطلحات حديثة من خلال منهج عقلاني نقدي وتاريخي. لقد قام "كونج" بعملية تفكيك اللاهوت التقليدي ومحاولة تخليصه من النسيج الأسطوري الذي لحق به، وهو ما عبر عنه في كتابه "تاريخ موجز للكنيسة الكاثوليكية".

ويمكننا ملاحظة منهج "كونج" النقدي وأسلوبه الملغز وخطابه المحاور وذلك في غربلة الأفكار عند طرحها ثم الانتقال من حالة الوصف والإثبات إلى الاستنكار والهدم ثم النقلة الهيجلية الثالثة أي استبدال الطرفين بثالث جديد تماما لا يحوي المقدمتين بل يوهم بذلك وهو يريد استحالة اللاهوت الكلاسيكي إلى خطاب أخلاقي علمي إنساني مستغرق فيه المعاصرة.

٢- مفهوم الدين وأبعاده وأثر الاتجاهات الفكرية (الحداثة وما بعد الحداثة) في مستقبل الدين:

لقد نظر "كونج " إلى الأديان بوجه عام نظرة محايدة في الظاهر يسودها الإجلال والتقدير، فليس هناك ميزة ولا هيمنة، ولا أفضلية لدين على الآخر بما في ذلك ديانته المسيحية التي رغم كل الانتقادات التي وجهها إليها فإنه ظل مؤمنًا بها حتى آخر يوم في حياته –بحسب تصريحاته– إن "كونج" يعي تمامًا أن الأديان في مجملها تدور حول العدالة، والحرية، والقيم الإنسانية النبيلة التي تعلي من شأن الإنسان، وبالتالي فإن كل ما في العالم هدفه خدمة الإنسان.

ويمكننا ملاحظة تقديم العدالة والمساواة والحرية– في كتاباته– على دونها من قيم إيمانية وعلة ذلك أن تلك القيم الإيمانية هي الشعار الذي ترفعه الماسونية.

أ] تعريف الدين:

عرف "هانس كونج" الدين: بأنه علاقة اجتماعية وشخصية متحققة بشيء يعلو العالم ويحيط به وهذه العلاقة هي التي تتحقق في عادة، وعُرف اجتماعي، وتنعكس في عقيدة، وخلق، وطقوس دينية في معظم الأحيان، وهي علاقة بالحقيقة المطلقة بكل ما تحمله هذه العبارة من معان ومفاهيم عنده. وبالتالي فإن الدين هو الذي يعطي للحياة معنى شاملاً، قيمًا،

ومعايير مطلقة دون تلقين أو تحذير أو إرهاب غيبي، وينشئ أمة ووطناً روحيًا[١]. متصالح على ثوابته، وعلاوة على ذلك فإن الدين يتحدث بسلطة مطلقة لا يتم التعبير عنها فقط بالكلمات، والمفاهيم، والتعاليم والعقائد بل أيضًا بالرموز، والصلوات، والطقوس، والأعياد أي عقلانيًا وعاطفيًا[٢]. ذلك لأن الدين – حسب زعمه- يتكون أولاً من أصول ومبادئ وعقائد مختلفة، وثانيًا من شعائر وطقوس ومناسك وثالثًا من معايير أخلاقية، وهذا البعد الثالث الأخلاقي هو الذي قصده مشروع المقاييس العالمية للأخلاق[٣]. وفي حقيقة الأمر أن كونج هنا فيلسوف مراوغ ذلك لأننا – من خلال كتاباته- نجد أنه يقدم البعد الثالث الأخلاقي على الثوابت والأصول التي يعلنها ويراوغ بها في الظاهر، أضف إلى ذلك إن هذا التعريف يتواءم مع مشروعه، ودعوته إلى أخلاق عالمية موحدة (الذي سوف نتحدث عنه في موضعه).

وعلى هذا الأساس فإن هذا التعريف للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية تَجَسدَ لديه من خلال تعمقه وفهمه للأديان الأخرى، وعلاقتها بالمسيحية، ومن ثم فإن هذا التعريف يجمع بين الأديان السماوية والوضعية، فلم يرد في هذا التعريف لفظ الله أيضًا، وركز صياغته لهذا التعريف على الإنسان.

وفي حقيقة الأمر إن وضع التعريف بهذا الشكل المتمثل في عدم إظهار اسم الإله كان متعمدًا من جانب "كونج" – على حد قوله- بل إنه كان حريصًا على ذلك في بيان برلمان الأديان العالمية ١٩٩٣ م الذي انبثق عن مشروعه الخاص بالمقاييس العالمية. ولعل السبب في ذلك ليس لأنه لا يؤمن بالله بل بالعكس فقد رأى أنه من المهم جدًا أن يكون الإعلان عن" الوصايا العشر" قد تم باستخدام الله الواحد لكن لا يجوز تعميم هذا عالميًا ببساطة، لأنه لا ينطبق على جميع الأديان، ولا ينطبق أيضًا على الملاحدة واللا أدريين جميعًا الذين لديهم مقاييس أخلاقية لا يريدون الإعلان عنها باسم الإله بسبب الخبرات السلبية الكثيرة جدًا مع الإله، والدين في حياتهم وفي التاريخ والتي قام كل من "فيورباخ"، و"ماركس" K. Marx (١٨١٨-١٨٨٣)، و"نيتشه"، و"فرويد" S. Freud (١٨٥٦-١٩٣٩) بمعالجتها. إنهم لا يريدون أن يكون هناك أي صلة بالإله، وهذا ينطبق أيضًا على البوذيين الذين لا يريدون بسبب خبرات

(١) هانس كونج، وجوزيف فان اس: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام ترجمة د/ السيد محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص١٧.

(2) Hans Kung: Global Responsibility, in search of a new world Ethics crossroad publishing, 1991, p. 53.

(٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٨٧-١٨٨.

مشابهة مساواة الحقيقة الأصلية أو الأخيرة بالآلهة كما أنهم يلتزمون الصمت فيما يخص وجود الإله فهذه ليست مسالة مهمة بالنسبة لهم(١).

أما بالنسبة للمسيحيين- في رأيه - فإن الأمر مختلف تمامًا لأن الإله هو الحقيقة الأولى والأخيرة التي تتغلغل في كل شيء ولا يمكن إدراكها بالمصطلحات، فالإله المفهوم هو سر الحياة العظيم، وليس شيئًا يمكن تصويره وبطريقة مجسمة، فالكتاب المقدس يعرف مثل القرآن تحريم الصور(٢). وبذلك فقد ترك "كونج" الباب مفتوحًا لجميع التأويلات المتعلقة بالإله أمام جميع الأديان لكنه لم يستعمل مفهوم الإله بصورة مباشرة.

وعلى الرغم من كل مظاهر الانحطاط استمرت الأديان على مدى آلاف السنين في إظهار قوتها الروحية التي لا تنضب، والتي لا يمكن تدميرها، وبالتالي يمكن للأديان أن تتحدث بشكل ملموس (خلال الأمثال والنماذج والصور). أكثر من مسئوليات الإنسان الأساسية مقارنة ببعض المذاهب الأخلاقية الحديثة. لقد عاش كبار الشخصيات الدينية الرائدة في البشرية أخلاقيات بطريقة مثالية، وهو ما لم يستطيع أن يقوم به رجال أي دولة أو فيلسوف على مدى آلاف السنين، وذلك فيما يتعلق بالسلطة الروحية، وخير مثال على ذلك "كونفشيوس" Confucious (٥٥١-٤٨٩ ق.م)، و"بوذا" Buddah (٥٦٣- ٤٨٣ ق.م) و"المسيح" و"محمد"(ﷺ)((٣).

ووفقًا لتعريف "كونج" فإن الدين يجب أن يُعاش ويمارس ويحيا داخل الجنس البشري لأنه ليس شيئًا خارج الإنسان أو بمعزل عنه بل في الإنسان، فعندما يلتقي أحد أتباع دين ما مع مؤمنين من أتباع الديانات الأخرى فيجب عليه أن يكون مستعدًا للتعرف والاعتراف بالاختلاف الأساسي فيما يتعلق بنظرته إلى العالم والحياة وطرق العمل وتحديدًا المواقف- فإذا قيل عن شخص أنه يعتنق ديانة هندوسية فهذا يعني أنه رجل هندوسي وليس مجرد صاحب ديانة هندوسية، فالدين لا يرتبط بالنظريات والمفاهيم بل بالحياة نفسها، ومنهج الحياة وطرق العيش(٤)، وبطبيعة الحال لابد أن يرتبط التدين بالإنسانية بالنسبة لأتباع أي دين سماويًا كان أو وضعيًا. يقول "كونج" يتعين على الإنسان أن يكون متدينًا بطريقة إنسانية لأن هناك أشخاصًا متدينين بطريقة لا إنسانية؛ إنهم المتطرفون الغلاة الذين لا يفهمون الدين بطريقة

(١) نفسه: ص ١١١، ص١١٢.

(٢) نفسه: ص١١٢.

(3)Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and economics, Trans. by John Bowden, Oxford university press, N.Y, Oxford, 1998, p. 231.

(4)Singgih Basuki: Interreligious Dialogue: from coexistence to proexistence (understanding the view of Mutki Ali and Hans Kung, Umeran international journal of Islamic and civilization studies, Vol.5, No. 2, 2018, p. 73.

صحيحة بل منحرفة غير طبيعية[١]، ويرجع "كونج" سبب الغلو والتطرف إلى البعد عن الدين الأصلي وهو الأمر الذي يتطلب التحديث[٢].

وعلى ذلك فإن "كونج" في تعريفه للدين يميل إلى الدين الأخلاقي، وهو متأثر إلى حد كبير بما ذهب إليه شلايرماخر F. Schleiermacher (١٧٦٨- ١٨٣٤م) فالإيمان بالله عنده متجذر في الشعور لأن الدين عنده ليس مجرد فكر، أو فعل لكنه حدث عقلي ترانسندتنالي"، وشعور بالاعتماد على المطلق الموجود داخل وعي كل إنسان بوصفه العنصر المشترك في الطبيعة الإنسانية، وموجودة في كل الأديان بلا استثناء يقول" شلايرماخر" أن الشعور بالاعتماد على المطلق يفترض مسبقًا أن يكون موجودًا بالفعل داخل كل متدين يمتلك وعيًا مسيحيًا بوصفه الطريق الوحيد لوجودنا ولعلاقتنا به[٣]. ولعل "كونج" يتفق في ذلك مع كل من " كانط"، وفيشته"، و"وليم جيمس" W.James (١٨٤٢-١٩١٠م) و"ميرتشا إلياده" Mircea Eliade (١٩٠٧- ١٩٨٦م).

إن وظيفة الدين في رأى "كونج" أنه يكشف لنا عما يمكن القيام به تجاه مجتمع يتجاوز الفروق الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، ويلخص كونج هذه الإمكانات في مجموعة من الأمور لعل أهمها:

١- بإمكان الدين أن يصل إلى بعد معنوي عميق شامل يتسع لكل شيء حتى في مواجهة المعاناة والظلم والشعور بالذنب، كما أنه يعطي معنى آخر للحياة في مواجهة الموت.

٢- يمكن لدين أن يضمن القيم العليا والمعايير غير المشروطة، وأعمق الدوافع، والمثل العليا والسبب في تحمل المسئولية.

٣- من خلال الرموز المشتركة والطقوس، والتجارب، والأهداف المشتركة يمكن للدين خلق إحساس بالانتماء والشعور بالثقة، والإيمان، واليقين، وقوة الذات والأمان والأمل من خلال الولاء لمجتمع روحي.

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٦٧.

(٢) نفسه: ص ١٦٧- ١٦٩.

(3) Friedrich, Schleiermacher: The Christian faith, 3rd edition with introduction by Paul T. Nimno, Bloomsbury publishing PIC, T. and clark, London, 2016, p. 131.

٤- يمكن للدين أيضًا أن يوفر أسبابًا للاحتجاج، والمقاومة ضد ظروف غير عادلة من خلال التوجه إلى الكلي الآخر الذي يعمل بالفعل، ولا يمكن كبح جماحه(١).

وفي ضوء هذه المعاني فإن الدين وتأويلاته – عند "كونج" – يدور في إطار عالم متعدد الأبعاد، على رأسها البعد الأخلاقي المنوط بتوجيه السلوك الأخلاقي وتفاعل الأفراد استنادًا إلى قيم أخلاقية معينة، ومنها البعد الاجتماعي وهو المنوط بدور الدين في توجيه، وغرس المبادئ، والتفاعل داخل المجتمع، ومنها البعد الخاص بالتجارب الدينية، والروحية لعلاقة الفرد بالإله، ومنها البعد اللاهوتي، بعد فهمه وتأويله عن طريق العقل، ومنها البعد الثقافي أو الحضاري الذي يسهم في فهم الدين من خلال التفاعل بين الأديان والثقافات المختلفة.

إن لدى الدين– في رأى "كونج"– ما يقوله في شتى المجالات لكن المشكلة تكمن في أن كثيرًا مما يقدمه يتم بطريقة غير شيقة لكثير من الناس أو بأسلوب يثير ردود فعل حادة(٢)، أضف إلى ذلك فإن "كونج" يعي جيدًا أن الأديان لا تستطيع حل مشاكل الأرض البيئية والاقتصادية، والسياسية والاجتماعية لكنها تستطيع الوصول إلى ما لا يمكن التوصل إليه فيما يبدو من خلال الخطط الاقتصادية، والبرامج السياسية، أو التنظيمات القانونية وحدها: وهو تغيير الموقف الداخلي للإنسان والعقلية برمتها أي قلب الإنسان وحمله على الارتداد إلى الخلف إلى موقف جديد من الحياة(٣).

ولقد قسم "كونج" الأديان إلى ثلاثة وجهات رئيسية:

أ- وجهة تيار الأديان الهندية الأصل أي البوذية والهندوسية ويتسم بالوجهة الروحية الأسطورية.

ب-وجهة تيار الأديان الصينية الأصل أي الكونفشيوسية والطاوية Taoism ويتسم بالحكمة المأثورة الذاتية.

ج-وجهة تيار الأديان التي ظهرت في الشرق الأوسط أي اليهودية والمسيحية والإسلام وهو نظام النبوة(٤).

(1) Hans Kung: Global Responsibility: op.cit, pp. 53-54.

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٩.

(٣) نفسه، ص٢٢٦.

(4) Hans Kung: Christianity Essence, History and future, op.cit, pp. 790.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

ولعله في تقسيمه لهذه الوجهات الثلاث يريد التخلص من مركزية القداسة التي تؤمن بها الديانات القائمة على الوحي والنبوة وإله متعال متغلغل في مركزية العالم، وهو كفكرة لا يتعارض تعارضًا حادًا مع باقي الأديان.

وإذا ما انتقلنا مع "كونج" إلى مشكلة ليست قصرًا على الأديان السماوية، بل تواجه كل الأديان، وموجودة في كل دين بلا استثناء، وهي مشكلة الدوجماطيقية نجده يؤكد على أن التوحيد ليس سبب الدوجماطيقية أو الأصولية كما يدعي أحيانًا المؤلفون المسيحيون غير المستنيرين قائلين بأن الإيمان التقليدي بالإله الواحد الأحد هو تعبير عنه بنية الوعي التي تتعارض بشدة مع رؤية تعددية للعالم، وكأن الأديان لا يمكنها أيضًا قمع الأديان الأخرى باسم التوحيد، ناهيك عن الديانات الإلحادية الزائفة –أليس بالأحرى– كما يرى "كونج" أن الإيمان بإله واحد يحتضن ويحكم كل الأشياء يمكن أن يكون أساسًا لعالمية تأخذ تعدد الأديان على محمل الجد دون التخلي عن تفردها؟ ليس الإيمان بإله واحد هو الذي يفصل بين الديانات الثلاث ذات الأصل السامي– في الشرق الأدنى بعضها البعض– لكن ما يفصلها الإيمان بشعب الله وأرضه الواحدة (في اليهودية) وبمسيح الله أو أبنه (في المسيحية) والوحي الإلهي والقرآن (في الإسلام) [١] وإذا أخذنا في الاعتبار أن الأديان التوحيدية أكثر عرضة للراديكالية من غيرها فإن هذا لا يمنع من أن هناك ديانات وضعية ذات أصول هندية وصينية تُتهم بالراديكالية (فالهندوسية ضد المسلمين أو السيخ Sikhs) والكونفشيوسية ضد غير الصينين، ومع ذلك فهناك ديانات صوفية في الهند تتجه نحو الوحدة العالمية فهي تحاول استيعاب الأديان الأخرى، وإضفاء طابع نسبي إليها كمراحل أولية[٢].

على ذلك طالب "كونج" بتفعيل دور الدين لحل أزمات العنف، والإرهاب، والحروب بدلاً من اتخاذ الدين مصدرًا أو ذريعة لمثل هذه الأمور لاسيما ما يقوم به أتباع الديانات التوحيدية من توجيه الاتهامات بعضهم لبعض على العكس تمامًا من أصحاب الديانات الوضعية أو ديانات تعدد الآلهة أو حتى الديانات التي تخلو من عبادة إله كالبوذية التي لا يوحد بها العنف المبرر باسم الدين أو الإله. إن الدين وحده– وليس الأخلاق العالمية– وهو القادر على ايصال المعنى النهائي للحياة حتى بالنسبة لأتباع العدمية الذين يشعرون باليأس في مواجهة حتمية الموت، أو بعبارة أخرى فإن الدين الذي يطلق عليه الذاكرة العميقة للبشرية يعطي إجابة على أسئلة من أين أتينا وإلى أين– ولماذا نحن مسئولون[٣].

(1)Ibid, pp. 641-642.
(2) Ibid, p. 642.
(3)Hans Kung: Global Responsibility, op.cit, pp. 142- 143.

ويعلق "ريتشارد مورجن" Richard Morgan متفقًا مع ما ذهب إليه كونج حيث رأى أنه إذا كان هناك من ينتقدون الدين بشدة من خلال سلسلة طويلة من الشرور، ويرون أن الدين هو الذي جلبها إلى العالم كما هو الحال عند "سام هاريس" Sam Harris (١٩٦٧-) في الرسالة إلى الأمة المسيحية فإن هذا الاعتراض مردود عليه إذ يتجاهل الآثار الإيجابية العديدة التي أحدثها الدين على الحضارة الإنسانية مثل إنهاء العبودية والنضال من أجل الحقوق المدنية، وتاريخ القمع والتعذيب الذي لا يقارن في العديد من التجارب في القرن العشرين في الحكم اللاديني (النازية، والستالينية) وبالتالي لا يمكن تجنب الدين في أي محاولة لتحقيق السلام، والعدالة الاجتماعية بين شعوب الأرض(١).

وفي هذا الصدد يتفق المفكر الأمريكي" ريتشارد فلك" R. Falk (١٩٣٠-) مع "كونج" في نقده للحركات التنويرية الرامية إلى تهميش الدين، أو استبعاده من المجال العام لأن هذا الأمر يخلق فراغًا، وارتباكًا وتدينًا زائفًا خاصة للشباب الذين يبحثون عن المعنى والتوجه نحو القيم، والسعي نحو الوظيفة التكاملية للدين التي لا يمكن استبدالها في النهاية بأي فلسفة أو أخلاقيات، فالدين وحده – في رأيه كما هو الحال عند "كانط"- هو الذي يمتلك تأثيرًا كافيًا على المستوى الجماهيري(٢). وهنا تبدو النزعة البرجماتية الإصلاحية لكليهما في ميدان الأخلاق.

ولقد حذر "كونج" من إساءة استخدام الأديان كوسيلة لتحقيق غاية في الصراعات، والحروب العنيفة الجديدة بين الشعوب، وخاصة بين أولئك الذين تم قمع استغلالهم بعنف، وحذر زعماء، وأعضاء الأديان من التحريض على الكراهية، والتعصب، والعدوانية بحق الأجانب، وبغضهم وحذر من التبرير الديني للصراعات الدموية العنيفة، وهو الأمر الذي يترتب عليه سواء استخدام الأديان لأهداف سياسية بحته بما في ذلك الحرب، وطالب بالنظر إلى الأديان بواقعية في حل مشاكل الصراعات الإقليمية والوطنية والدولية دون أن نتوقع منها الكثير(٣).

وعلاوة على ذلك فقد حذر أيضا من خطورة توظيف الدين لصالح السياسة أي لتحقيق أهداف سياسية عندئذ يتكون خليط شديد الانفجار بين الدين والسياسة، فالدين الذي يخضع للغلو والتطرف يتحول إلى خطر على السلام العالمي، فعندما يزول قليلاً من الغبار الرهيب الذي ثار نتيجة للهجمات الإرهابية فلابد من التوصل إلى حوار جديد وقوي، وينبغي ألا ننسى

(1) Richard H. Morgan: peace among religions: Hans Kung's analysis of Christian and Muslim paradigms of social justice in search of Global Ethic, journal of Academic perspectives, No. 1, Volume, 2011, pp. 1-2.

(2) Richard Falk: Hans Kung's Crusade: Framing a global Ethics, International journal of politics culture and society, Vol. 13, No.1, 1999, p. 70.

(3) Hans Kung: A global Ethics for global politics and Economics, pp. 143- 144.

أن الاهتمام بحوار الأديان وبالمقاييس العالمية للأخلاق قد ازداد أيضًا في تلك الدوائر التي كانت متحفظة تجاهه من قبل(١).

ويمكننا أن نلاحظ أن مفهوم الدين الذي يطرحه " كونج" في خطابه يتسم بالمرونة والنسبية والشخصانية الذاتية التي تجعل منه الأمر المهم الذي تحتاج إليه القيم الإنسانية دون أدنى سلطة فوقية تحد من حرية الإنسان أو قوة تقيد أفكاره وطموحاته، وآراءه وكأنه أراد أن ينزع صفة القداسة المتعالية السامية من الدين ويجعلها في مقام الضروريات التي تفرضها المنفعة والمصلحة على الجنس البشري.

ب] منهج " كونج" في قراءة النص الديني

لقد جاء منهج" كونج" رد فعل لمعاداة الكنيسة للإصلاح عامة والإصلاح الديني خاصة، فلم تُبذل أي محاولة- تقريبًا -من جانب الكنيسة للدخول في حوار نقدي بناء مع الإلحاد الحديث الذي وصل ذروته مع فلاسفة مثل "فيورباخ"، و"شوبنهاور" Arthur Schopenhauer (١٧٨٨- ١٨٦٠م) و"ماركس"، و"نيتشه" حيث إن الكنيسة واللاهوت لم يدركا مدى تغير العالم من حولهما، وأصبح العقل المنغلق على ذاته، والخضوع، والإذعان، والتواضع، والطاعة للتسلسل الهرمي ضيق الأفق من الفضائل الكاثوليكية المركزية(٢).

بدأت مرحلة النقد لدى "كونج" في فترة مبكرة من حياته الفكرية لكن التجسيد الفعلي لهذه المرحلة اتضح بصورة جلية بعد فصله من الجامعة عام ١٩٧٩م؛ حيث سار على خطى فلاسفة التحرير الذين يربطون اللاهوت بظروف العصر، وبالتالي فقد هاجم الكنيسة ورأى أنها لم تخلع عباءة العصور الوسطى تجاه كثيرًا من مواقفها التي ما زالت متمسكة بها.

وبطبيعة الحال استند "كونج" على العقل، ودوره في خدمة النص الديني من خلال فهم تأويلي نقدي يهدف إلى إعادة مكنونات النص الديني واللاهوتي دون أن يغفل قضية الإيمان الأساسية – من الناحية الظاهرية- المرتبطة ببنية الأديان مثل الوحي والنبوة ذلك من أجل أن يقدم لنا قراءة نصية تهدف إلى كيفية التعامل مع تغيير النماذج الفكرية التي مرت بها المسيحية تلك القضية التي تمثل الشغل الشاغل لـ "كونج" مثل الإصلاح الديني، والحداثة، وما بعد الحداثة، والليبراليةLiberalism ، والثورات والديمقراطية، والتقدم العلمي وحقوق الإنسان، والحرية الدينية تلك الأمور التي وقفت الكنيسة الكاثوليكية منها بمثابة حائط صد منيع.

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٩٩.

(2) Hans Kung: Christianity, op.cit, p. 511.

وقد أعلن" كونج " منذ وقت مبكر أنه تعلم التزامه بالصدق العقلي متخذًا لنفسه قاعدة مؤداها "ألا يكتب إلا ما يقوله، ولا يقول إلا ما يؤمن به" مؤكدًا أن هناك كثيرًا من علماء اللاهوت الذين يوافقونه الرأي في الاجتماعات الخاصة بهم على انفراد، لكنهم يتراجعون عن الكتابة والتصريحات العلنية خوفًا وفزعًا وذلك طمعًا في الوحدة النسقية لخطابه حتى لا يتهم مشروعه بالاضطراب والتناقض إذ أكد كونج على أن الناس المخلصين للكنيسة والدولة يعتقدون أن بوسعهم أن يكذبوا إذا تعلق الأمر بالكنيسة أو الدولة، كما أدرك التبعات والأثمان الباهظة التي سيدفعها جراء قول الحقيقة، فكثيرًا ما يحدث أن يقع الرأي ضحية شجاعته وجبن الآخرين، لكن عليه أن يتحمل تبعات موقفه بحسب ما ذهب إليه "لوثر"(١)، وهو بذلك متأثر بالوجوديين الذين قدموا حرية البوح ومسئولية التصريح بالآراء على السكوت أو مداهنة المجتمع أو الكذب.

إن الصدق عنده واجب أخلاقي مبنى كليةً أصلاً على كرامة الشخص شأنه شأن فضائل أخرى أيضًا كالعدل والإنسانية، وعلاوة على ذلك فالصدق ليس مجرد "حق" بل هو إحدى مسئوليات الإنسان الأساسية وهو أمر من أوامر الإنسانية(٢).

إن الحقيقة عند "كونج" ديناميكية، وتاريخية، وجدلية وهي أكثر من كونها مجرد افتراضات أو عبارات صحيحة إنها تعني الإخلاص والدقة والموثوقية لإله العهد الجديد فقد هدف "كونج" من جراء بحثه عن الحقيقة الوصول إلى كمال الحقيقة المسيحية فراح ينتقد الكاثوليكية، ويرى أنه لم يعد ممكنًا إخفاء أخطاء الماضي الخطرة لسلطة الكنيسة التعليمية، تلك الأخطاء التي ظلت دون تأجيل بحجة أنها تصورات غير مكتملة للحقيقة، أو صيغ غير كافية للعقيدة بسبب الغموض، والتقلب التاريخي للغة الإنسانية، وبالتالي ينبغي النظر إلى مثل هذه الأمور على أنها ليست معصومة من الخطأ لأنها لم تعد مقنعة لأن جوهر فكر "كونج" يتمثل في أن إيمان الكنيسة لا يعتمد على قضايا معصومة(٣).

وفي هذا الصدد ذهب "ستيفن شان" Stephen Chan(١٩٤٩-) أن البابا "بولس السادس" قد اعترف لـ" كونج" بصدق أقواله- ذات مرة- على انفراد وأكد له أن الكنيسة من المستحيل أن تعترف بخطئها(٤).

على ذلك طالب "كونج" بضرورة إخضاع النص المقدس في كل الأديان للمنهج النقدي التاريخي في التأويل ولا سيما ونحن نعيش في عصر هيمنة الرؤى العلمية على العالم فلم يعد

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٧٧- ص١٧٩.

(٢) نفسه: ص٢٠١.

(3) Enrique Espinosa, op.cit, pp. 274- 279.

(4) Stephen Chan: Rorty as shadow warrior: Hans Kung and global ethics, Review of international studies (25) British International studies Association, 1999, p. 525.

هناك حقيقة أبدية يمكنها الهروب أو الإفلات من الحكم النقدي للعقل عن طريق اللجوء إلى سلطة الكتاب المقدس أو التقليد أو الكنيسة[١]، ليس هذا فحسب بل وخضوعه للتفكيك.

ويرتد "كونج" بفجر النقد التاريخي للكتاب المقدس من محاولة التأويل التنويري في فهم النصوص المقدسة بطريقة مبسطة في حد ذاتها أي بصورة غير عقائدية وإن غلب عليها في كثير من الأحيان عقلانية ديكارتية، هذا النقد العقلاني أعده "إرازموس" D. Erasmus (١٤٦٦- ١٥٣٦) و"هوجو جروتيوس" Hugo Grotius (١٥٨٣- ١٦٤٥) و"هوبز " T. Hobbes (١٥٨٨- ١٦٧٩). وأسسه "سبينوزا"، هذا المنهج مستمد من أسس علمية ورياضية، ثم تعزز هذا النقد عن طريق الفيلسوف الفرنسي "بيير بايل" Pierre Bayle (١٦٤٧- ١٧٠٦) و"ديفيد هيوم" D. Hume(١٧١١-١٧٧٦) كذلك فقد طبقه الفيلسوف الألماني "هيرمان صمويل ريماروس" Herman Samual Reimarus (١٦٩٤- ١٧٦٨) على العهد الجديد، وأعلن أنه وجد جملة من المتناقضات في مصادر العهد الجديد ورأى أنه يمكن تلخيص إنجيل "يسوع" بأكمله في الرسالة الآتية "توبوا لأن ملكوت السماوات قد اقترب[٢]" كذلك فقد حاول" شلايرماخر" تطبيق منهج النقد التاريخي على الوثائق الأساسية للوحي الكتابي فانحاز إلى "ليسنج" G.E. Lessing (١٧٢٩- ١٧٨١) الذي تحول من النموذج الإصلاحي إلى الحداثة وقام "شلايرماخر" بتطبيق هذا المنهج على رسالة "بولس الرسول" الأولى إلى أهل "تيموثاوش" فشكك في صحة نسبتها إلى "بولس" ورأى أنها لا يمكن أن تكون من كتابات "بولس"، كذلك نسب كتابات" لوقا" إلى حياة المجتمع في المسيحية الأولى وتقاليدها الشفهية، ومن ثم أصبحت تأويلاته عملاً أساسيًا للتأويلات اللاهوتية والفلسفية والأدبية[٣].

ويتوقف" كونج" عند "سبينوزا" وكتابه "رسالة في اللاهوت والسياسية" ١٦٧٧م حيث دعوته إلى حرية الفحص النقدي التاريخي للكتاب المقدس باعتباره وثيقة أساسية، وبالتالي متناقضة في كثير من الأحيان للإيمان ومن ثم كان "سبينوزا" أول من شكك في صحة نسب أسفار" موسى" الخمسة إلى "موسى" ورأى أنها تم تجميعها من مصادر مختلفة والسبب في ذلك أن رواية الخلق الواردة في سفر التكوين أثبتت أنها العقبة الرئيسية أمام قبول علم الفلك والفيزياء الحديثة، لقد كان من المفترض أن يسهم البحث التاريخي النقدي والتعريف بطبيعة النصوص الكتابية في تجنب العلاقات الزائفة بين الإيمان والعلم[٤] وعلى ذلك فهناك شواهد وشكوك كثيرة

(1) Hans Kung: Eternal life? Life after death as medical philosophical and Theological problems, Trans by Edward Quinn, Image Books, Garden City, N.Y, 1985, p. 6.
(2) Hans Kung: Christianity, Essence, History and Future op.cit, pp. 690- 692.
(3) Ibid, p. 695.
(4) Ibid, p.p, 687-688.

وانظر:

- Hans Kung: Islam, past, present and future, op.cit, p. 519.

في رأي "سبينوزا" بالنسبة لصحة هذه الأسفار؛ حيث رأى أنها كُتِبت، أو دُونت بواسطة شخص عاش بعد "موسى" بقرون عديدة وليس أدل على ذلك من أن "موسى" – في رأيه- لم يعبر نهر الأردن على عكس ما جاء في مقدمة سفر التثنية. ولم يكتف "سبينوزا" بذلك بل أضاف أن أسفار مثل "يشوع"، و"القضاة"، و"راعوث"، و"صموئيل" ، و"الملوك" في رأيه ليست صحيحة(١).

لقد أسهم "سبينوزا " في رأى "كونج" بتشجيع اللاهوتي الفرنسي "ريتشارد سيمون" Richard Simon (١٦٣٨-١٧١٢م) بوضع أول مؤلف مسيحي تحت عنوان "التاريخ النقدي للعهد القديم" حيث شكك في أسفار موسى الخمسة لكن تمت مصادرة كتابه بناء على طلب من أسقف البلاط الفرنسي الشهير "جان جاك بوسوية" Bossuet (١٦٢٧-١٧٠٤م) وتم استبعاده من مجمع الكهنة، وبعد ذلك توالت الكتابات التي استخدمت منهج النقد التاريخي، وعلى الرغم من تبعات هذا المنهج ومشكلاته فإنه أصبح راسخًا في اللاهوت البروتستانتي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وفي اللاهوت الكاثوليكي في النصف الأول من القرن العشرين وبالتأكيد مع المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥)(٢).

وعلى ذلك فإن منهج النقد الجذري للكنيسة، واللاهوت الذي تبناه "كونج" بحثًا عن المشترك الإنساني هو عبارة عن خلاصة قلق للاهوتي عقلاني في زمن الحداثة ببحثه الدؤوب عن الانسجام مع مجتمعه وعصره، وتعبيرًا عن عمق التصدع الذي هز علاقة الفكر الديني المسيحي بالإنسان المؤمن، والبحث عن سبل إعادة رأب الصدع بين الجانبين فلم يكل " كونج"- على مدى أكثر من نصف قرن- عن العمل على صياغة لاهوت موازٍ، ومتكامل ليكون بديلاً عن لاهوت الكاثوليكية التقليدي والمحافظ، إنها معركة من أجل الحرية ربما ما يميز "كونج" في هذه السيرة الوعرة تشريع عمارته اللاهوتية على مختلف رياح الحداثة والتعامل معها بعقل إيماني منفتح(٣).

إن هذا الحديث يقودنا إلى السؤال عن تأثير النماذج أو التحولات الفكرية من الحداثة، وما بعد الحداثة وغيرها في مستقبل الدين.

(١) سبينوزا: مرجع سابق، ص٢٦٥- ٢٧٩.

(2)Hans Kung: Christianity, Essence, History and Future op.cit, pp.688.

وانظر:

- Hans Kung: Islam, past, present and future, op.cit, p. 519.

(٣) عز الدين عناية: الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها: هانس كونج نموذجًا، مجلة التفاهم، العدد ٣٥، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، السنة العاشرة، شتاء ٢٠١٢م، ص٢١٠، ص٢١١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

جـ] أثر التحولات أو الإتجاهات الفكرية (الحداثة وما بعد الحداثة) في مستقبل الدين:

يمثل التحول الكوبرنيقي – في رأى" كونج"– البداية لعدد آخر من التحولات الثورية الأساسية التي تشكل ما يعرف بالحداثة كما أنه المثال الأول لما يعنيه كونج بالتحول في النموذج الإرشادي، إنه أكثر من كونه مجرد تغيير في طريقة التفكير جسد الرؤية العالمية للزمن إنه التغيير الذي وصفه" توماس كون" بأنه المجموعة الكاملة للمعتقدات والقيم والآليات التي يشترك فيها أعضاء مجتمع ما، كذلك فقد بدأ النموذج الجديد للعالم مهددًا الصورة التقليدية للعالم على يد عالم الفلك الإيطالي "جالليليو" مؤسس العلم الحديث؛ حيث كان "جالليليو" يعي أن أبحاثه تهدد الرؤية الإنجيلية للعالم فرأى أنه لو كانت المعرفة يقينية وتناقض ما جاء في الإنجيل فإنه من الضروري تقديم تفسير جديد للإنجيل(١).

لقد كتب "كونج" كتابه المسيحية في عام ١٩٩٤ م فذهب إلى أنه بإمكان المرء أن يبدأ بالحداثة في هذا القرن، أو القرن السابق حسب وجهة النظر، أو المعايير، أو الاهتمامات، فهناك من نظر إليها على أنها بدأت في أواخر العصور الوسطى، ورأى بعض المؤرخين أنها بدأت من عصر النهضة، ورأى آخرون أنها بدأت مع عصر الإصلاح. كذلك فقد شهد القرنان السابع عشر، والثامن عشر انتقالاً إلى نموذج الحداثة، فكلمة حديث في حد ذاتها كلمة قديمة أتت من العصور القديمة المتأخرة. ولقد وصلت الحداثة ذروتها في شكل الإلحاد الحديث عند "فيورباخ"، و"شوبنهاور"، و"ماركس"، و"نيتشه"(٢). لكن على أية حال فقد استطاع الأوروبيون في العصر الحديث أن يفهموا العالم بسرعة، ونقل السلطة من مركزية المطلق إلى مركزية الإنسان، والسيطرة على كل شيء، فالشيء الذي كان يعتبر سابقًا مسئولية الله والقوى الخارقة، والقوى الدنيوية الأخرى، أصبح البشر سادة لأنفسهم وللطبيعة مع ما يترتب على ذلك من نتائج سلبية وإيجابية فهي تقوم على الثقة بالعقل وتأليهه بدلاً من تأليه المطلق(٣).

وفي القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين كان هناك من الفلاسفة من توقع، وتمنى، ونادى بنهاية الدين، لكن لم يُظهر أحدٌ من هؤلاء الأساس الذي بنى عليه توقعه، وأمله، ونداؤه، ومن ثم أصبح الإعلان المتكرر عن موت الإله غير صحيح، ولم تتحقق النبوءة التي أصابت بعض الملحدين بالشك في احتمالات نهاية الدين، ويستشهد "كونج" بما ذهب إليه أرنولد توينبي Arnold Toynbee (١٨٨٩– ١٩٧٥م) الذي أكد أن العلم والتكنولوجيا ليس بإمكانها الاستمرار بوصفهما البديلين للدين إنهما لا يستطيعان تلبية الاحتياجات الروحية التي يحاول الدين بجميع أنواعه توفيرها، ورأى أن الدين من الناحية التاريخية جاء أولاً، ثم خرج العلم من الدين، ولكن لم يسبق للعلم أن حل محل الدين وتوقع أنه لن يحل محله أبدًا، ولعل

(١) هانس كونج: العلم والدين بداية كل شيء، مصدر سابق، ص١٢.

(2) Hans Kung: Christianity, Essence, History and Future, op.cit, p. 650, p. 674, p. 737.

(3) Hans Kung: Woman in Christianity, op.cit, p. 79.

المقصود بالدين عند" توينبي" هو التغلب على الأنانية في كل المجتمعات ولدى الأفراد من خلال الاندماج مع الوجود الروحي فيما وراء الكون، وجعل إرادتنا في تناغم معه واعتقد توينبي أن هذا هو المفتاح الوحيد للسلام الذي ما زلنا بعيدين عن التقاطه واستخدامه(١).

لقد انفتح " كونج" على الحداثة التي هي من مكتسبات عصر الإصلاح- بشقيه الديني التأويلي والسياسي – وروج لها في وقت مبكر من حياته الفكرية وهو يعي تمامًا أنها حمالة أوجه وذلك لتغلغلها في جميع المجالات والفنون، ولما انطوت عليه من تأويلات ودلالات في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين في الوقت الذي كانت تنظر فيه الكنيسة الكاثوليكية إلى الحداثة- ممثلة في البابا- على أنها هرطقة لأن البابا كان ينظر إليه بوصفه الممثل لله على الأرض؛ وبالتالي طالبت الكنيسة رجال اللاهوت بالتصدي للحداثة، ولتيار اللاهوت الليبرالي. فقد عارض الحداثة بكل قوة كل من " بيوس العاشر" pius x الذي تولى كرسي البابوية في الفترة من ١٩٠٣م حتى ١٩١٤م ، والبابا "بيوس الثاني عشر" الذي تولى كرسي البابوية من ١٩٣٩ حتى ١٩٥٨م حيث اتخذا موقفًا حاسمًا ولم يسمحا حتى بظهور أي نقاش حقيقي حولها(٢). لدرجة أن الأخير نشر حوالي ثمانين خطأ للحداثة؛ حيث دافع باستماته عن بنية العقيدة، والسلطة، وقام بمعاداة الإصلاح بشكل عام، وبالتالي تم النظر إلى ما قاله البابا على أنه بمثابة إعلان حرب ضد نموذج الحداثة، وتمت إدانة الجمعيات الليبرالية إلى جانب جمعيات الكتاب المقدس، والجمعيات السرية مثل الماسونية وأُدينت حقوق الإنسان بشكل عام: بما في ذلك حرية الضمير، والدين، والصحافة، والزواج المدني، وبالتالي عارضت الكنيسة الكاثوليكية في روما الحداثة بكل الوسائل الأيديولوجية والسياسية ومحاكم التفتيش(٣).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل صار هناك تطورًا كارثيًا يتضمن فهرسًا للكتب المحرمة أو الممنوعة على الكاثوليك يتضمن الهجوم على أغلبية ممثلي الحداثة الأوروبية وتجلياتها العالمية بجانب العديد من اللاهوتيين والإصلاحيين الذين انتقدوا الكنيسة ومؤسسي العلم الحديث ولاسيما "كوبرنيقوس" N.Copernicus (١٤٧٣- ١٥٤٣م)، و"جالليليو"، والعديد من الفلاسفة أمثال" ديكارت"، و"باسكال"B.Pascal (١٦٢٣- ١٦٦٢م) وكل من الفرنسي" بيير بايل"، و"مالبرانش"N.Malebranche (١٦٢٨- ١٧١٥م) والفيلسوف الهولندي "سبينوزا" والتحرريين الإنجليز مثل "هوبز" ، و"لوك"J.locke (١٦٣٢-١٧٠٤م) و"هيوم" ونقد العقل الخالص عند "

(1) Hans Kung: On Being a Christian, op.cit, p. 60.
(2) Hans Kung: Does God exist, p. 519.
(3) Locit.
- Hans Kung: Christianity Essence, History and Future, op. cit, p. 510.
- Hans Kung: Does God exist, p. 519. وانظر

كانط"، وكذلك "روسو" J.J.Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨م) ، و"فولتير"Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م)، و"جون ستيورت مل"J.S.Mill (١٨٠٦- ١٨٧٣م)، و"أوجست كونت " A.Comte (١٧٩٨-١٨٥٧م) وكذلك المؤرخون العظماء أمثال جيبون .E.Gibbon (١٧٣٧- ١٧٩٤م)، و"كوندورسيه" Condrocet (١٧٤٣-١٧٩٤م)، و"رانك" Ranke (١٧٩٥-١٨٨٦م)، و"تين" Taine (١٨٢٨- ١٨٩٣م)، و"جريجورفيوس" Gregorovius (١٨٢١-١٨٩١م) بالإضافة إلى ذلك كان هناك "ديدرو" Diederot (١٧١٣-١٧٨٤م)، و"دالمبير" D.Almbert (١٧١٧-١٧٨٣م) وموسوعته، وقاموس لاروس Larous، و"مونتسكيو"Montesquieu (١٦٨٩-١٧٥٥م)، وأخيرًا نخبة من الأدب الحديث مثل "هاين" Heine (١٧٩٧-١٨٥٦م)، و"لينـاو" lenau (١٨٠٢-١٨٥٠م) ، و"هوجو جروتيوس" ، و"لامارتن" Lamartine(١٧٩٠-١٨٦٩م)، و"دوماس" Dumas (١٨٠٢-١٨٧٠م)، و"بلزاك" Balzac (١٧٩٩-١٨٥٠م) ، و"زولا" Zola (١٨٤٠-١٩٠٢م)، و"ليوباردي" Leo Pardi(١٧٩٨-١٨٣٧م) ، و"سارتر" و"سيمون دي بوفوار" S.de Beauvoir (١٩٠٨-١٩٨٦م) و"مالابارت" Malaparte (١٨٩٨-١٩٥٧م) و"أندريه جيد" A.Gide (١٨٦٩-١٩٥١م) [١].

واعتقد أن اضطراب النسق التاريخي في الخطاب السردي حيال موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحداثة، متعمد من جانبه ويقصد به أن عصر الحرية، والمدنية، والعلمانية، والحداثة، وما بعد الحداثة لم يؤثر في موقف الكنيسة الراديكالي من كل الخطابات المناهضة لتعاليمها.

بيد أن "كونج " نظر إلى الحداثة نظرة مغايرة في علاقتها بالدين وفي ظل التقدم العلمي السائد الذي كانت تعتنقه الحداثة، فطالب الكنيسة بالتأقلم معها في مستوى قيمي إنساني، وأخلاقي، ومسايرة دعوتها إلى النقد، والحرية، والتقدم، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، والليبرالية، ورأى كونج أن أهم مبدأ أو إعلان يتناسب مع الحداثة ما ورد في المجمع الفاتيكاني الثاني هو مبدأ حرية المعتقد أو الحرية الدينية لأنه يستند في المقام الأول على الكرامة الإنسانية التي هي حق أصيل من حقوق الإنسان، يقول كونج "لم تكن هناك حاجة إلى وجود أزمة داخل المسيحية في عصر العقل الجديد، وكان في مقدور الكنيسة أن تتلاقى بصورة بناءة مع قوى الحداثة الصاعدة مع الفلسفة الجديدة والعلم والتكنولوجيا والديمقراطية، والصناعة بدلاً من معارضة الكنيسة لها بصورة عدائية وتحالفها مع كل الطبقات المعارضة للحداثة في المجتمع الأوروبي"[٢]. لكن مع مرور الوقت بدأ أُفول نجم الحداثة في التقهقر وأظهر "كونج"

(1) Hans Kung: Christianity, op. cit, pp. 510- 511.
(2) Ibid., p.761.

بعض التحفظات على بعض الأمور السلبية في الحداثة على الرغم من أنها استطاعت أن تزلزل عرش الأنماط التقليدية بوجه عام والدينية بوجه خاص.

على هذا الأساس راح "كونج" ينتقد بعض جوانب الحداثة السلبية – من أجل تقويمها– وما بها من خلل يفضي إلى الاغتراب لأنها لم تحقق الآمال المنشودة في تحقيق التوازن بين القيم المادية والروحية بل أنها أثارت الكثير من المخاوف، والالتباسات حيث أنها قامت بتفكيك الأخلاق، وتغييب دور المقدس وفقدان مركزيته على حساب تقديس العلمانية، وتعميق العدمية، ولم تحقق المساواة ولا التوازن بين التقدم العلمي، والتقني وبين الأخلاق والقيم الروحية، فانحازت للعلم دون الحكمة مما أدى إلى سوء استخدام البحث العلمي والتكنولوجيا التي حولت الإنسان إلى وثن، وترتب على ذلك نوع من العزلة، فانحازت إلى التكنولوجيا، وأغفلت الطاقة الروحية اللازمة التي تتحكم في المخاطر غير المتوقعة الناتجة عن التطور التكنولوجي المتزايد، وانحازت للصناعة في مقابل اغفال دور البيئة (كما هو الحال في قطع وتدمير غابات الأمازون الاستوائية) وانحازت للديمقراطية في مقابل اغفال دور الأخلاق، ومن ثم عدم القدرة على مواجهة مصالح الأفراد، والجماعات وليس أدل على ذلك من مصالح الفساد في الحزب الوطني الليبرالي الياباني، وحزب المؤتمر الهندي، وفضائح المخدرات في كولومبيا، وحكم عائلة "موبوتو سيس سيكو" Mobutus Sese Seko (١٩٣٠– ١٩٩٧م) في زائير[١] وفي ظل هذه الأزمات والمحن الإنسانية وتهميش الأمور الروحية فقد الدين سيطرته الواسعة على المجالات الأخرى حتى صار يتمتع بتأثير ضئيل في مجال العلم والتعليم السياسة، والطب والخدمة الاجتماعية لدرجة السؤال والاستنتاج بأن تأثير الدين على حياة المجتمع ككل قد تراجع فبدلا من الوصايا الواسعة السابقة فقد يكون لديه الآن تأثير أخلاقي مكثف بصورة غير مباشرة، وبالتالي حدث تغيير في وظيفة الدين[٢] كذلك فقد انتقد "كونج" الكنائس المسيحية وما بها من مشكلات تعود بعضها إلى القرن السادس عشر أي مشاكل عصر الإصلاح الديني التي لم يتم حلها مثل زواج القساوسة والزيجات المسيحية المختلطة المذاهب، ولقد حاول المجمع الفاتيكاني الثاني تحقيق مطالب الإصلاح فأخذ الحداثة مأخذ الجد، وحاول استيعابها.[٣]

(1)Hans Kung: Global Responsibility, op.cit, p. 12

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٢٦٧.

وانظر:

- Hans Kung: On Being a Christian op.cit, p. 63.

٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٧.

وإذا انتقلنا مع "كونج" إلى المرحلة التالية للحداثة وهي اتجاه ما بعد الحداثة وهو اتجاه فكري نقدي يتعدى نطاق الحداثة ومآلاتها . حيث نجد أنه إذا كانت الحداثة تثق في العقل فإن ما بعد الحداثة تشكك في العقل فهي تمرد على العقل، أي أنها رد فعل ضد الحداثة. أضف إلى ذلك أن الحداثة نسقية فكل الأفكار مرتبطة ببعضها وتؤدي إلى بعضها، أما ما بعد الحداثة فهي خالية من النسق أي أنه من الممكن أن انتقل إلى النقيض بحسب ظروفي في كل الحالات في السياسة، والفن، فالعقل الإنساني وليد النسبية، ووليد ظروفه، وبالتالي رأى "كونج" أنه لا يمكن إهمال، أو تجاهل الدين في عصر ما بعد الحداثة، ومحاولة فك تلك القيود التي أقحمته فيها الحداثة.

لقد ذهب "كونج" إلى أن العالم في السنوات الأخيرة شهد خضوع العقلانية لتحدٍ جديد، فالعالم يعيش اليوم مرحلة تغيير النماذج، والقيم، والانتقال من عصر الحداثة إلى ما بعد الحداثة؛ حيث بدأ في أوروبا عام ١٩١٨ م التشكيك في القيم الرئيسية للحداثة مثل العقل، والتقدم، والأمة وظهرت الشكوك حول علاقة التقنية بتدمير الطبيعة، وطرح السؤال حول ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الشراكة بين الرجل والمرأة بدلاً من النظام الأبوي، وظهرت بوادر أولى للسلام بعد الحرب العالمية الثانية، وبرزت حركات جديدة مثل حركة المرأة، والسلام، والبيئة في أماكن مختلفة، وظهر ما يسمى بلاهوت الثورة والتحرر والعلمنة Secularization وغيرها. وبالتالي أصبحت العولمة بمعناها الصارم ممكنة(١). فالعولمة هي أمر لا مفر منه فهي الأمل الكبير لدى البعض، والرعب الأكبر لدى البعض الآخر، وهي ليست مؤامرة أمريكية أو يابانية أو نتيجة تآمر بعض قوى الظلام بل هي نتيجة للتطور التكنولوجي، والاقتصادي لأوروبا الحديثة وهي ثورة هيكلية في الاقتصاد العالمي(٢).

لقد جاءت ما بعد الحداثة في سبعينيات القرن الماضي لترفض المذاهب الفكرية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة واليقين والمعنى الأوحد. في الوقت الذي رفضت فيه ما بعد الحداثة كل هذا، فإنها لم تقدم بديلاً مذهبيًا يمكن الارتكان إليه بل قدمت عدم اليقين ودعت إلى الفردية المطلقة والنسبية المفرطة وقلب نظام القيم والأخلاق وفقدان الثقة في العقلانية، وكل نظام أخلاقي يدور على معنى أو مركز أو محور ثابت مثل الضمير أو الله أو الواجب...إلخ.(٣)

(١) نفسه، ص١٩٧- ١٩٨.

(2) Hans Kung: A global Ethics for global politics and Economics, Op.cit., pp. 159, 160.

(٣) د محمد عثمان الخشت: المشترك بين الأديان والفلسفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ص٥٢- ٥٣.

وعلى الجانب الآخر بدأت قضية الدين تطرح ذاتها من جديد بوصفها مسألة لا يمكن إقصاؤها ببساطة مع معاني الحداثة إما بالتجاهل، أو الكبت، أو حتى الاضطهاد بل لابد من مواجهة هذه القضايا من جديد(١).

ولعل "كونج " أقرب ما يكون هنا إلى "نيتشه" الذي يعده الناقد الأكثر وضوحًا للحداثة (على الرغم من أنه لم يتغلب عليها) من خلال نظرته لإنسان القرن التاسع عشر في كتابه" ما وراء الخير والشر"، وفي" إرادة القوة "التي أعلن فيها عن "موت الإله"، وتحول أو قلب كل شيء في الأخلاق الأوروبية في مجملها التي أصبحت واقعًا مميتًا في القرن العشرين ليس فقط من خلال شخصيات فرعية مثل "هتلر"Hitler (١٨٨٩-١٩٤٥م) و"ستالين" Stalin (١٨٧٨-١٩٥٣) وليس في المحرقة أو حربين عالميتين انتهتا بالقنابل الذرية بل أيضًا في الفضائح اليومية المتكررة غير المسبوقة التي تورط فيها كبار السياسيين، ورجال الأعمال والنقابيين في الدولة الصناعية ناهيك عن العنف والأنانية، وكراهية الأجانب من قبل عدد كبير من الناس وخصوصًا الشباب(٢).

ويعد "كونج " من المناصرين لنزعة ما بعد الحداثة شأنه في ذلك شأن فيلسوف الدين الأمريكي "ميرولد ويستيفال" Merold Westphal (١٩٤٠-) وفيلسوف اللاهوت الكندي "جيمس كينج سميث" James King Smith (١٩٧٠-) فقد رأى كونج أنه عندما بدأ عصر ما بعد الحداثة لم تعد الإنسانية تستحسن بالضرورة العقل كمعيار مطلق، وصارت الإنسانية مرتابة في العقلانية المحضة بوصفها الطريق الوحيد للحقيقة، كما ازداد الشك وضوحًا أيضًا تجاه التقدم كمصطلح ثان للحداثة، وبالتالي قد تكون الفرصة سانحة الآن لإحياء الدين من جديد فلم يعد هناك الكثير من مشاعر الكراهية للدين مثلما حدث في الماضي ما لم يتم تفعيلها عن طريق المراسيم البابوية التي يترتب عليها تجاهل الدين الذي يميز عصرنا الحاضر من وجهة نظر "كونج"(٣).

وتتجلى نزعة ما بعد الحداثة عند "كونج" عندما يرى أن خدمة الإنسان- عند "كونج"- لها أولوية على ممارسة الشريعة ولا يجوز أن تُرفع لمنزلة المطلق، ولا يجوز التضحية بالإنسان في سبيل مقياس، أو مؤسسة تزعم أنها مطلقة، فالإنسان مقياس نفسه، ومقياس الشريعة والعبادة أيضا، لأن قضية الله ليس الشريعة ولا العبادة بل الإنسان، وهكذا الإنسان نفسه يُستبدل بالروح الشرعية المرفوعة إلى درجة المطلق فالانتباه إلى الانسان يحل محل الخضوع للشريعة والمؤسسة والقانون والعقيدة، فإرادة الإنسان لا تحل محل المشيئة الإلهية، لكن المشيئة هي التي

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٩٨.

(2)Hans Kung: Christianity Essence, History and Future, op. cit, p786-787.

(٣) هانس كونج، لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٨.

تتجسد انطلاقًا من أوضاع الإنسان، وهكذا فإن الوصايا والعقائد والأنظمة والأحكام الراهنة قد جُعِلتْ للإنسان لا الإنسان لها(١). فكل الأشياء التي وُجدت في العالم وُجدت لأجل الإنسان، وليس وجود الإنسان من أجلها، وعندما يتجاهل الإنسان هذه الحقيقة فإنه لا يعبد الإله الواحد الحقيقي وإنما يعبد الآلهة الزائفة المتعددة كالمال والسلطة والجنس والمكانة وهو الأمر الذي يعزز الأنانية واللاإنسانية بدلاً من السمة الإنسانية(٢).

وفي هذا الصدد قام "كونج "بتحليل مفاهيم العلمنة وتقرير المصير(التحرر) والسيطرة على العالم (إزالة الغموض) الذي ظهر إبان الثورة الثقافية لعصر التنوير، فالتمييز بين مجالات معينة من الحياة الاجتماعية بالنسبة للدين ومنحها الاستقلال أمر منطقي، ولا يعني بأي حال من الأحوال اختفاء الدين فقد كان بمقدور الكنيسة أن تتخلى عن مجالات الفلسفة، والعلوم، والاقتصاد، والسياسة، والتعليم، والثقافة، وتسمح لهم بالاستقلال دون محاولة إبقائهم تحت هيمنة العصور الوسطى أو حتى الإصلاح كان بالإمكان أيضا تحقيق علمانية في ضوء الإيمان المسيحي، ولكن نظرًا لعدم اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بهذه الفرص فقد ظهرت نظرة عدائية مناهضة للكنيسة والدين بعد عصر التنوير(٣)، الذي سعى إلى نشر نور العقل في عالم أظلمته خرافات الكنيسة، وأحكامها المسبقة، وسعى إلى فصل الفكر الإنساني بأكمله من اعتماده السابق على السلطات الخارجية، ومن ثم جاء التنوير بمثابة ثورة ثقافية ضد سلطان الكنيسة، ووضع كل سلطة موضع شك(٤).

وفي القرن العشرين اعتقد العديد من علماء الاجتماع بداية من" أوجست كونت" إلى "ماكس فيبر" Max Weber(١٨٦٤- ١٩٢٠م) أنه من المؤكد أن الدين سينهار أو يتفكك بفضل العقلانية الواعية وإزالة الغموض. أليس الوعي بغياب الإله عن العالم ظل سائدا باستمرار؟ ففي مواجهة الاتجاهات الحديثة الأكثر ركزت البروتستانتية المحافظة على حرفية الكتاب المقدس واتجهت الكاثوليكية على نحو مماثل فلم تعمل على إضفاء الطابع المركزي، والبيروقراطي على بنيتها التنظيمية فحسب بل عملت على تقديس ذلك، ومن ثم ناهض كلا الجانبين الحداثة ولم ينجحا في التطوير، وبالتالي لم تنجح الكنائس في كسب ود منتقديها(٥).

(١) هانس كونج: هوية المسيحي، فصول اقتبسها ونقلها إلى العربية صبحي حموي، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٦م، ص٦٨-٦٩، ص١١٤.

(2) Hans Kung: On Being a Christian, op.cit, p. 597.
(3) Hans Kung: Christianity essence, History and future, op.cit, p. 761.
(4) Ibid, p. 685.
(5)Hans Kung: Christianity essence, History and future, op.cit, p. 762.

لكن السؤال المطروح ماذا عن مستقبل الدين في ظل التيارات والنماذج الفكرية الحديثة؟

لقد طرح "كونج" مجموعة من التساؤلات في مقدمة كتابه عن وجود الله من أجل أن يثير ذهن القارئ في البحث عن إجابات وهو على قناعة تامة بإجابات هذه الأسئلة فتركها مفتوحة للقارئ، ثم أجاب عنها في نهاية كتابه ولعل من أهم هذه التساؤلات:

هل للدين أي مستقبل؟ أليس من الممكن أن يكون لدينا أخلاق بلا دين؟ أليس العلم كافيًا؟ ألم ينبثق الدين من السحر كما ذهب فرويد؟ وماذا عن" فيورباخ "وقوله أن الإنسان خالق الإله وأنه يتعبد لنفسه حينما يظن أنه يتعبد لله؟ وماذا عن الدين أفيون الشعوب عند "ماركس" والسوبرمان النيتشوي؟ ألم يتم إثبات الإلحاد؟، أليس العدمية غير قابلة للدحض؟ ألم يقلع اللاهوتيون مؤخرًا عن إثبات وجود الله؟ أم أنه من المفترض أن نؤمن بلا أسباب؟ وهل نؤمن ببساطة؟ ألا يمكننا الشك في كل شيء ماعدا الرياضيات؟ أليس اليقين الرياضي هو النموذج الأفضل؟ حتى إذا كان الله موجودًا فهل سيكون شخصًا أم غير شخصًا؟ أليس وصفه بأنه شخصًا سيكون أمرًا ساذجًا، ووصفه بأنه غير شخص سيكون فكرة مجردة؟ هل ينبغي أن نفصل حكمة الشرق ونكتفي بصمت البوذية تجاه المطلق الذي لا يمكن وصفه[1].

يذهب "كونج" إلى أنه من الصعب التنبؤ بمستقبل الدين بدقة؛ لأن الدين بطبيعته غير خاضع للتعبيرات الإحصائية ولا يمكن قياس الإيمان الديني والأمل والعمل بواسطة المذاهب، والطقوس وأنماط السلوك، لكن في ضوء كل تأملات وخبرات المعنيين بالظاهرة الدينية. يبدو أنه من غير المحتمل أن تتطور عملية العلمنة دون انقطاع تجاه علمانية الحادية، وحتى الاحصاءات الدينية لا تعطينا إشارة لمثل هذه التكهنات. وعلى الجانب الآخر يمكن أن نتوقع بصعوبة بالغة عكس مسار العلمانية نتيجة لإعادة تأسيس الدين وذلك لانعدام جميع الشروط المسبقة، والإشارات الدينية المذكورة، فمن المفترض أن تستمر العلمنة بصورة معدلة – بأي حال من الأحوال– على حساب الدين وهو ما تكهن به المفكر الأمريكي "توماس لوكمان" Thomas Luckmann (١٩٢٧– ٢٠١٦) وهو الأكثر ترجيًحا في حين يؤكد علماء الاجتماع الديني أن الدين شأنه شأن الفن سيظل موجودًا باستمرار[2].

ومن الحداثة، وما بعد الحداثة توصل "كونج" إلى الطريق الثالث، والحل الوحيد لربط كل ما هو متنافر، ومتصارع، وهو اجتياز ما بعد الحداثة، والابتعاد عن النظريات المغلقة وهو تيار "ما بعد الدين" ولا يقصد – "كونج" – بتيار ما بعد الدين، الالحاد أو اختفاء الروح الدينية أو

(1) Hans Kung: Does God Exist? Op.cit, p. XXI.
(2) Ibid, pp. 559- 560.

موت الإله، ولكن ما يقصد به ما يسمى بالحداثة الروحية، وهي تطور تدريجي لما بعد الحداثة، التي تعود جذورها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من كوارث وإزهاق للأرواح حلت بالمجتمع الأوروبي(١).

إن لاهوت الحداثة عند "كونج" يُقصد به غالبا ما يسمى بالنقد الأعلى Higher Criticism الذي يعني تأويل المستور أو كشف المحجوب من المعاني الجوانية للكتاب المقدس، فالنقد الأعلى يقوم على اختزال ما هو أعلى بالفعل والذي ليس إلا الوحي على مستوى العقل الإنساني.(٢) ومن هنا أكد "كونج" على أن الاعتقاد في الإله الواحد يعطي لليهود والمسيحيين والمسلمين حرية لا حدود لها تسمو بهم عن جميع القيود الروحية: فالعهد مع الواحد المطلق يحرر البشر من كل ما هو نسبي ولن يعود لهم بعد ذلك وثن. أما اليوم في زمن ما بعد الحداثة فإننا لسنا بحاجة إلى عودة ميثولوجية منمقة إلى الآلهة، وبدلا من اختلاق الأساطير لا بد من العودة إلى الإله الواحد الحقيقي الذي يعبده أصحاب الديانات الثلاث، والذي لا يتسامح مع أية آلهة أخرى، وهنا يتجلى أسس التسامح بين الناس لأن الله إله واحد لكل البشر الذين خُلقوا على صورته (ذكر أم أنثى) وهو ما يجعل الكرامة الإنسانية جديرة بالاحترام.(٣)

ولقد طالب "كونج" بفهم معاصر لله فهو على قناعة تامة بأن الإنسان المعاصر لم يعد بحاجة إلى تخيل الله أو التفكير فيه بنفس الطريقة التي كان يفكر بها الإنسان القديم عند اليونان أو إنسان العصر الوسيط وأوائل العصر الحديث، فمن الضروري إعادة التفكير المنهجي فيما يتعلق بصورة الله العتيقة لأن السؤال هل الله موجود؟ يجب أن يتم طرحه بشكل يمكن فهمه بما يتماشى مع أنماط التفكير الحالية.(٤)

لذلك يرى "كونج" الحل في دعوة توحيدية جديدة لعلمانية محدودة أمام حدود الدين، أو دين في دولة علمانية يهدف إلى عدم محاربة التطور التقني والعلمي والصناعي مع الأخذ في

(١) هيام عبدالعزيز الحشاش: صورة الطبيعة البشرية بين الأديان الإبراهيمية عند هانس كونج، رسالة دكتوراه غير منشورة، تحت اشراف أ.د/ محمد عثمان الخشت، أ.د/ عصمت نصار، جامعة بني سويف، ٢٠١٩، ص٢٠١.

(٢) د/ سيد حسين نصر: الحاجة إلى علم مقدس، ترجمة د/ حمادة أحمد علي، وعمر نور الدين، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٧، ص٢٢٤.

(٣) هانس كونج: الدين والعنف والحروب المقدسة، ترجمة سمية المحفوظي و محمد يوسف إدريس (ترجمات قسم الدين وقضايا المجتمع الراهن)، سلسلة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ٢٠١٧، ص٩.

(4) Hans Kung: Does God Exist? Op.cit, p. 180-182.

الاعتبار أيضًا بألا تكون مثل هذه الأمور الهدف الأسمى، والقيمة العليا والمعيار المطلق لقياس التقدم حتى لا تسمح بأن يصبح التطور هو الإله الذي نعبده ونقدسه.(١)

ويمكننا أن نستنتج مما سبق أن "كونج" يريد فصل الصراع بين الثابت والمتحول وذلك لجعل الثوابت مبادئ نسبية تكتسب قوتها من قدرتها على الصمود والتفاعل مع الواقع، فليس هناك مسلمات ترتكن عليها دائمًا ولكنها حجج يمكن الاستناد إليها حسب الحاجة والمنفعة والمصلحة.

وعلى ذلك فالدين كما أكد "كانط" ضروري وثابت أصيل وأحد أعمدة التقدم شريطة أن يكون له فاعلية في إرساء الحس الأخلاقي في المجتمع وألا يكون عائقًا لحركة النهوض والتقدم، وبالتالي يصبح الدين بلا كهنوت، والعلمانية تبييت واقع بلا إلحاد فينفض النزاع بين الإيمان والكفر لأن الصراع بينهما قد انتهى فيما بعد الدين على حد تعبير "كونج".

٣- اشكالية الحوار الديني ومبادئه وأبعاده:

قد لا نبالغ كثيرًا إذا قلنا إن موضوع الحوار بشكل عام والحوار بين الأديان خاصة هو لب وجوهر فكر "كونج" الديني واللاهوتي والأخلاقي وأبرز اهتماماته على الإطلاق فكل مسعى "كونج" لمناقشة هذه القضايا تجسد من خلال الحوار الذي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالوعي الكوني وبالتأويل ولا سيما تأويل الأديان في فهم القضايا المعاصرة من أجل وحدة الإنسانية ذلك من خلال الانفتاح على الآخر وقبوله في ظل التعددية الدينية والعولمة وتعدد الحضارات والثقافات، ومن ثم فقد طالب "كونج" في جُل كتاباته أتباع كل دين من الأديان بالتفاهم والتخلي عن فكرة ادعاء امتلاكهم الحقيقة المطلقة، والتخلي عن فرض ديانتهم بالقوة على أتباع الديانات الأخرى كمبدأ من مبادئ الحوار لأن الغرض من الحوار هو الانفتاح على الأديان وألا يتحول الحوار إلى جدل لفظي عقيم يفرض فيه طرف ما من الطرفين نفسه وفكره أو عقيدته على حساب طرف آخر فمثل هذه الأمور تعجل بفشل الحوار، أضف إلى ذلك أن هناك أمورًا تقف حجر عثرة أمام تحقيق الحوار مثل الشمولية ، والدوجماطيقية، والتعصب، والحصرية الدينية، ورفض التعددية كل هذه الأمور تمثل معوقات أمام تحقيق حوار هادف بناء في الحوار بين الأديان.

(١) هانس كونج وجوزيف فان اس: مصدر سابق، ص٤٣.

أ- مفهوم الحوار عند "كونج":

إن الحوار عنده يعد حوارًا مجردًا من اللاهوت الدفاعي أو العقائدي أو الروحي لأنه حوار يركز على ما هو أخلاقي وقيمي مشترك بين الأديان.

ينطلق "كونج" في فهمه للحوار من نظريته التي صاغها بداية من عام ١٩٨٤م في العديد من كتاباته ومؤداها لا يمكن تحقيق السلام في المجتمعات أو بين دول في ظل صراع ديني أو عراك عقدي، ولا سلام بين الأديان بمنأى عن حوار يحتكم إلى العقل والعلم والموضوعية، فلا حوار بين الأديان بلا معايير أخلاقية متفق عليها عالميًا، وعليه لا يمكن تحقيق العدالة والحرية والمساواة دون تصور معاصر جديد للإنسانية أي دون أخلاقيات عالمية يدعمها المتدين وغير المتدين، فذهب إلى أنه لا حوار بين الأديان دون فحص دقيق لأسس الأديان(١). على الرغم من كل الاختلافات العقائدية – والعقبات بين الأديان المختلفة التي تجعل الحوار الحقيقي وهم ساذجًا هذا صحيح– فلن يكون هناك بقاء للديمقراطية دون تحالف المؤمنين، وغير المؤمنين في إطار الاحترام المتبادل(٢)، فهذه النظرية تبناها "البابا يوحنا بولس الثاني" بابا الكنيسة الكاثوليكية الذي قام ببعض الخطوات الشجاعة مثل زيارة الكنيسة اللوثرية والمعبد اليهودي في روما والجامع الأموي الكبير في دمشق، ووافق على مشروع "كونج" في المقاييس العالمية للأخلاق(٣) هذا المشروع المغلف بماسونيته، وأخيرًا في الإمارات العربية؛ حيث مجمع الديانات الإبراهيمية، والترويج لفكرة المشترك الإبراهيمي.

إن هذه النظرية تعد خطابًا موجهًا لجميع الأديان بلا استثناء من أجل الحوار للوقوف على أهم إيجابيات الأديان وما تتلاقى فيه مع بعضها البعض من مبادئ روحية سامية تهدف إلى وضع أسس السلام العالمي لأن الغرض من الحوار هو تعزيز التعددية الدينية الثقافية بالوعي والتسامح ، والمحبة بين أتباع الطوائف، والمذاهب من ناحية، وأتباع الأديان الأخرين، والعيش بسلام من أجل حل المشكلات الإنسانية التي تمثل معيار حقيقة الدين.

على ذلك ينظر "كونج" إلى الحوار عامة والحوار بين الأديان خاصة على أنه مطلب أساسي هذا المطلب أعطى لحياة "كونج " معنى وهدفًا في رأي "سينجيه باسوكي" Singgih Basuki من خلال مجموعة من النقاط الحوارية التبادلية لمحددات الحوار بين الأديان:-

(1) - Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, p. 92.

وانظر:

- Hans Kung: Islam, Past present and future, op. cit, pp. 661- 662.

(2) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 92, p. 115.

(٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٥٥.

أ- يمكننا فهم الآخرين بجدية إذا سعينا لفهم معتقداتهم، وقيمهم، وطقوسهم، ورموزهم .

ب- يمكننا فهم إيماننا حقًا بما في ذلك نقاط القوة، والضعف، والأوجه الثابتة، والمرنة إذا سعينا إلى فهم إيمان الآخرين.

جـ- يمكننا أن نجد الأساس نفسه للمعتقدات المختلفة حتى لو كان هناك اختلاف يصلح لأن يكون أساسا للتعايش السلمي في العالم إذا سعينا إلى فهم معتقدات الآخرين.[١] وكل ذلك يعتمد على الوعي والخبرة الإنسانية.

وهكذا فإن الحوار بين الأديان- في رأي "كونج"- يتطلب موقفا منفتحًا وليس دفاعيًا، كما يتطلب نوعًا من التواضع، فلا يشعر بأنه الشخص الأكثر صوابا أو حقًا. فالحوار في الأساس وظيفة نقدية وحاسمة للدين، وبالتالي يمكن استعادة اكتشاف مصداقية الدين وإيجاد أساس متين للحوار الصادق الصارم[٢].

من هذا المنطلق رفض "كونج" ما أسماه "صامويل هنتنجتون" S.Huntington (١٩٢٧-٢٠٠٨م) بصراع الحضارات وفرضيته القائلة بأنه في العصر العالمي الجديد سيتم شن الحروب من قبل الحضارات التي تحمل الطابع الديني على وجه الخصوص، وتوقع أن يحدث في المستقبل صراعات، وصدامات سياسية، وعسكرية فالعالم يسير في مسار تصادم لا مفر منه، على سبيل المثال بين الحضارة الإسلامية والكونفشيوسية الآسيوية والحضارة الغربية، أي أن الحرب العالمية القادمة إذا حدثت ستكون حربًا بين الحضارات[٣]. وبالتالي فقد ركز " هنتنجتون" على البعد الثقافي والديني وعدهما سبب صدام الحضارات وأغفل الأبعاد الاقتصادية الأساسية للمشكلات بين الغرب والدول الإسلامية، ولقد رفض "هابرماس" Habermas (١٩٢٩-) زعم " هنتنجتون" لأنه اعتقد أن سبب الاعتلالات التواصلية الذي سببته العولمة ليس ثقافيًا بل اقتصاديًا[٤] ولقد رد "كونج" على ذلك فاعتبر السلام بين الأديان هو البديل الاستراتيجي لصدام الحضارات عند " هنتنجتون" الذي تنبأ بالصراعات المستقبلية المتمثلة في صراع الحضارات التي لا يمكن تجنبها، وبالتالي فإن مستقبل البشرية – في رأيه- سيكون عبارة عن حرب مستمرة لا نهاية لها بالإضافة إلى الفوضى القادمة بسبب الجريمة

(1) Singgih Basuki: Constructing Ethical Patterns in time of Globalization, Hans Kung's Global Ethic Project and Beyond , Academic dissertation, Faculty of Theology at The university of Helsinki, 2010. P.73.

(2) Loc cit.

(3) Hans Kung: A Global Ethics for Global Politics, op. cit, pp. 91- 92, p. 115.

(٤) جانر تسلمان: خطابة الإرهاب، وخطابة الجهاد "تقييم فلسفي ولاهوتي" ترجمة إسلام سعد مقال ضمن كتاب كيلي جيمس كلارك: أبناء إبراهيم ترجمة اسلام سعد، علي رضا، وسلمى العشماوي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ص٣٤، ص٣٤٦.

والاكتظاظ السكاني والمرض والقبلية التي تنبأ بها السياسي "روبرت د. كابلان" R.D.Caplan (١٩٥٢-) في مقابلة له مع مجلة أطلنطا الشهيرة، وتنبأ في نهاية مقاله بحرب عالمية ثالثة حتمية ستؤدي بالضرورة إلى نهاية الجنس البشري(١).

ويتساءل "كونج" هل يعني ذلك أن صراع الحضارات والأديان أمر لا مفر منه؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتجاهل "كونج" الصراعات المذهبية، والعقائدية بين أتباع الأديان بعضها البعض الآخر التي قد تتسبب في محن وكوارث؟

يقول "كونج" " إنني لا أستطيع أن أشارك "هنتنجتون" تشاؤمه أو أقبل نظريته عن صراع الحضارات بوصفها أفضل بوصلة للمستقبل"(٢) وهو الشعار الذي استخدمه للترويج لها في وسائل الاعلام، واهتمامه المتزايد بهيمنة الغرب الأوروبي الأمريكي. ومن ثم فإن الأمر عند" كونج" ليس صداما بين الحضارات بل تعاون بينهما، وهذا النموذج سيكون نموذجا للمستقبل مع الأخذ في الاعتبار عدم اهمال البعد الديني في السياسة الخارجية ومن الأمثلة على ذلك لبنان، وإيران، وفلسطين (الانتفاضة) وفي سلسلة من الحالات قدمت الأديان مساهمة محدودة في تعزيز السلام أو استعادته، ومن الأمثلة على ذلك المصالحة بين فرنسا وألمانيا والسلام في نيكاراجو، وموزمبيق، وتغيير السلطة في الفلبين، ونهاية الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.(٣)

وقد ربط "كونج" بين الحوار، والتسامح Tolerance فارتد بذلك إلى العديد من الفلاسفة الذين نادوا بشريعة التسامح بداية من" أفلاطون" Plato (٤٢٧-٣٤٧ق.م) في محاوراته بهدف تحقيق العدالة (وإن كان "كونج" قد أغفل موقف "أفلاطون" العدائي من الملحدين في جمهوريته) وكذلك آباء الكنيسة ولاهوتيو العصور الوسطى مثل " ريمون لول" Ramon Lull (١٢٣٢-١٣١٦م) و"نيقولاس كوزانوس" N. Cusanus (Van Kues) (١٤٠١-١٤٦٤م) وغيرهم الذين تأثر بهم في حوار الأديان ومرورًا بعصر الاصلاح على يد "مارتن لوثر" من خلال نداءه بتأويل المعتقد الديني، والتخلص من الأساطير، وانتهاء بفلاسفة العصر الحديث أمثال "سبينوزا"، و "جون لوك" ، و"فولتير" و"كانط"، و" جون ستيورت مل" فيلسوف الحرية الذي اعترض على اعتبار "المورمونية" Mormonism دينًا يتمتع بنفس الحقوق وسائر الأديان بأمريكا.

ولعل "كوزانوس" صاحب كتاب" السلام بين الأديان" يعد واحدًا من أبرز الفلاسفة الذين تأثر بهم "كونج" بقوة؛ حيث رأى أن جميع الأديان تتضمن فكرة دينية أساسية واحدة، فعلى الرغم من تنوع طقوسها، وعاداتها عبر التاريخ فإنها تجمعها فكرة واحدة هي السعي لكشف سر

(1) Hans Kung: Christianity Essence, History and future, op. cit, pp. 782- 783.
(2) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 118.
(3) Ibid, pp. 118- 120.

الوجود، ومعرفة الذات الإلهية، فالله تعالى أكبر وأعظم من أن يستطيع دينٌ واحد أن يحتويه، أو يشمله فكل دين من الأديان لا يرى إلا جزء من الحقيقة دون أن يستحوذ على الحقيقة بكاملها، وبالتالي فالعنصر الإلهي موجود بالفعل في جميع الديانات السماوية.(١)

إن الحوار عند "كونج" يمثل موقفًا تنويريًا تدرج من حواره المسكوني – في البداية – مع الكنائس أو المذاهب الأخرى في أمور أو قضايا تأويلية خلافية في الكتاب المقدس، وخاصة في الحوار الكاثوليكية مع البروتستانتية من أجل تقريب الهوة بين مختلف المسائل العقدية الشائكة بهدف وحدة الكنائس واذابة الخلافات اللاهوتية بين الطوائف وبيان مدى تهافتها، وابراز عدم جدوى هذه الخلافات، وقد تمخض عن ذلك أطروحته للدكتوراه عن عقيدة التبرير عام ١٩٥٧م، ثم امتد الحوار في الثمانينيات إلى آفاق رحبة ليشمل حوار المسيحية مع الديانات التوحيدية الإبراهيمية، وكان من نتيجة ذلك أن كتب ثلاثة مجلدات :اليهودية ١٩٩١م، والمسيحية ١٩٩٤م ، والإسلام ٢٠٠٥م، ثم توسع بالحوار أيضا ليشمل أصحاب الديانات الوضعية مثل الهندوسية والبوذية والصينية.

ولم يكتف "كونج" بذلك بل توسع بالحوار ليثبت أن كل الأديان شركاء في الحوار متساوون في القيمة لهم حقوق متساوية بما في ذلك الهندوسية، والبوذية، والكونفشيوسية، والتاويه ثم مع ممثلين ليبراليين من أتباع الأديان الأخرى الذين غالبا ما يكونون معارضين بنفس القدر لأديان العالم.(٢) ولقد واجهته حسب قوله تحديات جديدة بصورة مستمرة تأثر فيها بـ"أرنولد توينبي" ونظريته في التحدي والاستجابة.(٣) كما نادى بالحوار مع الأقليات الدينية– ببساطة– لمنعها من أن تصبح جزرا منعزلة في بيئة تتعامل معها بعين الريبة أو عدم الثقة التامة.(٤)

إن التجربة التي اكتسبها من الحوار بين الكاثوليك والبروتستانت أفادته في تجدد الحوار مع المتخصصين في اليهودية، والمسيحية، والاسلام وكذلك الحوار مع المتخصصين من أصحاب الديانات الأخرى مثل الهندوسية ، والبوذية، والصينية عام ١٩٨٢م في قاعة جامعة

(١) هوبرت هيركومر: صورة الإسلام في الأدب الألماني الوسيط ضمن كتاب صورة الإسلام في التراث الغربي، دراسات ألمانية في التنوير الإسلامي رقم ٤١، ترجمة: ثابت عيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص٣٣، ٣٤.

(2) Jose Casanova: op. cit, pp. 23- 25.

(٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٢٢، ص٢٣.

(4) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economic, op.cit, p. 151.

"توبنجن" ومن هذه الحوارات تولدت لديه تلقائيًا فكرة السلام بين الأديان كأساس للسلام بين الأمم.(١)

وقبل الدخول إلى أبجديات الحوار عند "كونج" نجد أنه يعي جيدًا المعوقات أو الأسباب التي تعرقل التقاء اليهود والمسيحيين والمسلمين.

أولا: إيمان اليهود بأنهم شعب الله المختار وأن الله وهب لهم أرضًا (فلسطين) .

ثانيًا: إيمان المسيحيين بأن عيسى عليه السلام ابن الله.

ثالثًا: إيمان المسلمين بأن القرآن وحي حرفي بالنص وبناء على هذه المعوقات قامت الكنيسة بمصادرة الحوار وراء أسوار الكنيسة وبالتالي يتبين لنا أهمية الحوار حول مسائل الخلاف بين الديانات السماوية الثلاثة.(٢) وعلى ذلك يرى "كونج " أن حوار المسيحيين مع المسلمين واليهود حول "يسوع" بصفته وحي الله (كلمته) أجدى من الحوار معهم على أنه مركب من طبيعتين كما جاء في التصور المسيحي المتأثر بالهلينيه (٣).

وإذا ما تطرقنا إلى الحوار اليهودي المسيحي – من وجهة نظر "كونج"– نجد أنه أبدى تعاطفا مع اليهود في ثنايا كتاباته منذ وقت مبكر، وطالب بحوار حقيقي بناء معهم يسوده روح الأخوة الحقيقية، والمحبة، والتسامح فكتب مجلدًا عن اليهودية عام ١٩٩١م نادى فيه بالحاجة إلى التأويل الصحيح لنصوص الكتاب المقدس من أجل فهم المعنى الحقيقي لليهودية. وقد جسد "كونج" هذه المطالبة من خلال حوار دار بينه وبين لاهوتي معاصر يدعى "بينشاس لابيد" أكد فيه "كونج" منذ البداية على يهودية" يسوع"، ودار الحوار بينهما حول سؤال رئيس شكل موضوع الحوار عما إذا كان ينبغي اعتبار "يسوع" أخًا أم ربًا انتهى فيه إلى أخوة المسيح العالمية،(٤) وأشار "كونج" إلى عدد كبير من المفكرين اليهود الذين أسهموا في تعزيز الحوار والتفاهم داخل المسيحية أمثال "هيرمان كوهين"H.Cohen (١٨٤٢-١٩١٨م) و"فرانز روزنزويج" F.Rosenzweig (١٨٨٦-١٩٢٩م) و"إديث شتاين Edith Stein (١٨٩١-١٩٤٢م) و"سيمون في" S.Weil (١٩٠٩-١٩٤٣م) و"ليو بيك"Leo Baek (١٨٧٣-١٩٥٦م) و"مارتن بوبر(٥)" M.Buber (١٨٧٨-١٩٦٥م) الذي يشاركه الرأي في النظر إلى

(١) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٢٤، ص ٢٥.

(٢) هانس كونج وجوزيف فان اس، مصدر سابق، ص٣٥، ص٣٦.

(٣) نفسه، ص٦٩.

(4) Hans Kung and Pinchas Lapide: Brother and Lord, Collins Co., U.K, 1977, pp. 15-20.

(5) Hans Kung: The Church, op. cit, pp. 138-140.

الأخوة العالمية للمسيح حيث نظر "بوبر" إليه بوصفه الأخ العظيم الذي يمثل الحقيقة الأسمى بالنسبة للإنسانية.(١)

كذلك أشاد كونج أيضا في العديد من كتاباته بدور مارتن بوبر في إثراء الحوار وفاعليته في اللاهوت اليهودي المسيحي، ولاسيما في كتابه المهم الأنا-أنت I and Thou حيث أكد على العلاقة بين الأنا والأنت الإنساني من ناحية، والأنا والأنت الأبدي من ناحية ثانية، ونظر إليهما بوصفهما المبدأ الحقيقي للعلاقات بين الأشخاص والله، ويمثل الحب أساس هذه العلاقات الحوارية، فالأنت الإنساني يؤثر علي كما أنني أؤثر عليه لأن الحياة الحقة الفعلية هي التي تكون بين الأشخاص وليس بداخلها، إن العلاقة بين الأنا والآخر مثل الروح أو الهواء الذي يحيا بواسطته الإنسان.(٢)

وتنتقد "كاترينا هودجسون"C.Hodgson تشديد" كونج" على أن الحوار الجاد بين اليهود والمسيحيين يجب أن يرتكز على الكتاب المقدس لكنها ترى أن هذه المهمة صعبة لأن الصراع بينهما يخترق قلب الكتاب المقدس، ويقسمه إلى عهدين وهو أمر بالغ الأهمية لأن مركز الجدل بينهما هو "يسوع" الذي يظهر في العهد الجديد بوصفه المسيح الموعود به، في العهد القديم والذي يرفضه الجزء الأكبر من إسرائيل . أضف إلى ذلك فإن معاداة اليهودية بشكل أكبر تتجلى في كتابات بولس الرسول لأنه كان يقود الكنيسة في الأيام الأولى للمسيحية ومع ذلك يقول "كونج" علينا دراسة رومية(٩-١١) بشكل أكثر شمولا فهل يعزز هذا موقفا أكثر ايجابية تجاه اليهود .(٣)

وإذا ما انتقلنا مع "كونج" إلى الحوار المسيحي الإسلامي أو الإسلام المسيحي نجد أنه يرى أن القديس "توما الأكويني"Thomas of Aquinas (١٢٢٤-١٢٧٤م) لم يكن رائدًا للحوار مع المسلمين في أواخر العصور الوسطى لأنه لم يعرف الإسلام إلا من خلال فلاسفة الإسلام الكبار واعتقد أنه يستطيع الدفاع عن العقائد المسيحية ضد الإسلام فلسفيًا على مستوى عقلاني بحت دون الاهتمام بالقرآن ويعد اثنان من المعاصرين للأكويني – في رأي" كونج"- هم الرواد الحقيقيين للحوار لأنهما كانا يعرفان العربية جيدًا وهما المفكر الموسوعي "روجر بيكون" R.Bacon (١٢٢٠-١٢٩٢م) الذي تأثر بـ "ابن سينا" والثاني "ريمون لول" الذي كرس حياته للحوار الذي أشبه ما يكون بالحوار الفلسفي السقراطي من جهة واللاهوت والعلوم الطبيعية من

(1) M. Buber: Two Types of Faith, trans. by Norman P. Gold Hawk, Harper and Brothers, N.Y, 1961, pp. 12-13.
(2) M.Buber: I and Thou 2nd edtion trans by R. G. Smith, Chalres Scribner's sons, N.Y, 1947, p.39.
(3) Cathrine Hodgson: op. cit, p. 64.

جهة أخرى[١] علاوة على ذلك فقد اهتم "لول" بإحلال ما هو مشترك ومتبادل بالإجماع بين الاسلام والمسيحية محل الاختلافات اللاهوتية، لأسباب مستمدة من السلام بين الأديان. كذلك لا يمكن اغفال دور كل من "فرانسيس الإسيزي" F.Assisi (١١٨١-١٢٢٦م)، والدور الفعال لـ "كوزانوس"؛ حيث سعى الأول إلى تعزيز السلام بين الأديان وخاصة بين الاسلام والمسيحية. أما الثاني فقد نادى أيضا بأهمية منع الحروب وانهاءها ورأى أن الكراهية المتبادلة هي وراء التعددية الدينية .وهكذا فقد كان لدى اللاهوتيين العظماء في العصور الوسطي أفكارا ثاقبة مفادها أن الصراع من أجل السلام بين الأديان أمر ضروري للسلام الدنيوي[٢] وعلى هذا الأساس فقد طالب "كونج" أتباع الديانات الثلاثة بضرورة قراءة الكتب المقدسة لبعضهم البعض فرسالة القرآن يمكن أن تزداد فاعلية إذا درس المسلمون الكتاب المقدس بجدية، والعكس إن رسالة الكتاب المقدس يمكن أن تزداد فاعلية إذا أخذ المسيحيون القرآن مأخذ الجد وتحرروا من المبالغات[٣].

ولقد ذهب "كونج " إلى أنه على الرغم من شهرة "الغزالي"(١٠٥٨-١١١١م) فإنه لم يكن لديه أي معرفة تقريبا بالأناجيل التي كانت متوافرة باللغة العربية وكذلك الحال بالنسبة للأكويني لم يكن لديه معرفة بالقرآن (الذي كان مترجمًا إلى اللاتينية منذ فترة طويلة) وليس هذا بغريب على العديد من اللاهوتيين في كلتا الديانتين الذين يتعين عليهم التعامل مع تغيير النماذج الفكرية المختلفة والأنظمة اللغوية المتعددة ومحاولة تطبيقها في الحوار، إذ أكد القرآن الكريم في مواضع مختلفة على أن اليهود والمسيحيين هم أهل الكتاب أي أن لديهم كتب مقدسة ومن ثم لا ينبغي الاستهانة بهذه السمة المشتركة في الحوار بين أديان الوحي النبوية الثلاثة[٤] وإذا طبقنا هذا الأمر على "كونج" وفكره الحواري الذي طبقه على سابقيه نجد أنه يتجاهل ما سبق أن صرح به ومن ثم فإنه يتذوق من نفس الكأس الذي شرب منه كل مَن انتقدهم فهو لا يعرف العربية، وإنما عرف كل ما جاء في كتاباته عن الإسلام من خلال كتب المستشرقين والكتابات المترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية ولا سيما الألمانية، والإنجليزية، والفرنسية.

(1) C. Enrique Espinosa: op. cit, p. 137.

(2) Aleksi Kuokkanen: Constructing Ethical Patterns in time of Globalization, Hans Kung's Global Ethic Project and Beyond, Academic dissertation, Faculty of Theology at The university of Helsinki, 2010. P.64.

(٣) هانس كونج وجوزيف فان اس: مصدر سابق، ص٦٧.

(4) Hans Kung: Islam, op.cit, pp. 516- 518.

وبطبيعة الحال فقد طالب "كونج" بالفحص النقدي للمفاهيم اللاهوتية من أجل التلاقي الحواري المسيحي البناء مع أديان العالم فأكد على أننا إذا أردنا التلاقي الحقيقي في حوار المسيحية مع أديان العالم وكنا بصدد المقارنة أنه يتعين علينا في جميع مقارباتنا، ومقارناتنا ، ومواجهاتنا أن نخضع عوامل المقارنة لفحص نقدي مستمر ويستشهد بمفهوم الثالوث الذي يتعين علينا بدلا من الخوض في التأويل الدقيق للإله الثالوث "تريمورتي"Trimurty الهندي (براهما Brahma كخالق و" فيشنو Vishnu "كحافظ "وسيفا Siva كمدمر) أو ثالوث الطاوية أن نستحضر بشكل نقدي العقيدة المسيحية في الثالوث وما قاله "أوغسطين"، و"الأكويني" فيما بعد، والعلاقة بين الآب، والابن، والروح القدس. إن مثل هذا الأمر سيجعل من السهل أن يكون هناك فهمًا بالنسبة للهندي المتسامح المؤمن بتعدد الآلهة أكثر من التحدث إلى توحيدي عربي صارم وينطبق الشيء ذاته على المقارنات المتعلقة بالتجسد والميلاد العذري والحياة الأبدية.(١)

ب- مبادئ الحوار وأبعاده:

عرض "كونج" لنفسه مبادئ يسير عليها في موقفه الحواري:

١- نقد ذاتي للمسيحية من خلال فهم الديانات الأخرى.

٢- نقد الديانات الأخرى من وجهة نظره كمسيحي لكن دون خلط الأمور ببعضها البعض عن طريق مقارنة المبادئ المتشابهة، وأعلن أنه لن يتجاهل أي مبدأ ذا قيمة عليا في الديانات الأخرى، وفي الوقت ذاته لن يترك أي مبدأ عديم القيمة دون نقده، ودراسته مع ممثليه حتى يتفق معهم على فهم مشترك، وأضاف أنه يتعين علينا في الحوار أن نتمثل المسؤولية المتبادلة ونعي تماما أننا لا نملك الحقيقة المطلقة جاهزة في أيدينا ولكن نحن على الطريق الذي يوصلنا إلى حقيقة أكبر(٢) فكل الأسئلة الموجهة في الحوار لها غالبا الوجه الثاني للعملة (وكأني أو عقيدتي هي المقصودة) فعلى سبيل المثال إذا طرحنا السؤال المتعلق بالعنف في الإسلام يجب أن ندرك أيضا أنه سؤال موجه للعالم المسيحي، فنحن نقارن غالبا المثالي في العالم المسيحي مع حقيقة الأديان الأخرى، فيقال إن المسيحية ديانة المحبة والسلام والديانات الأخرى هي ديانة الحرب والجهاد وأخيرًا العنف، ففي الواقع خاض العالم المسيحي على مدى قرون حروبًا

(1) Hans Kung: on being a Christian, op. cit, p. 115.

وانظر:

- Hans Kung: Does God exist? Op. cit, p. 632.

(٢) هانس كونج وجوزيف فان اس: مصدر سابق، ص١٧.

دينية[١]. والسؤال المطروح ما أبعاد الحوار بين الأديان؟ وهل يمكن إقامة حوار بين الأديان العالمية الكبرى بنفس الندية بين أتباع الأديان المختلفة؟

ذهب "كونج " إلى أن المهم في الحوار مراعاة بعدين:

(أ) البعد الخارجي عندما أجلس على مائدة حوار مع مندوبي أديان مختلفة فيجب بطبيعة الحال ان أفترض أن الآخرين يعتبرون دينهم دينًا صحيحا تمامًا مثل اعتقادي بأن ديني هو الصحيح، وبالتالي أستطيع أن أعترف أيضا بأديان صحيحة مختلفة حيث يفترض جدًا أن كل دين له نقاط ضعف.

(ب) البعد الداخلي: هذا البعد لا ينطبق على المسيحيين فحسب بل أيضا على الأديان الأخرى فكل إنسان قد اختار لنفسه شخصيًا طريقه الديني الخاص به وهو غالبا ليس مستعدًا للتخلي عنه. ولقد قدم "كونج" حلاً متطورًا فيما يتعلق بحوار المسيحية مع أصحاب الديانات الأخرى والقناعة المسيحية بالرسالة والايمان المسيحي بـ "يسوع" على أنه الطريق والحق والحياة ومن ثم يتعين عليهم أن يتبنوا نظرة مماثلة هي أن اليهود يسلمون بأن التوراة هي الطريق والحق، وهكذا الحال بالنسبة للمسلم الذي يرى الطريق والحق في القرآن، ويراه البوذي في طريق بوذا المتمثل في الطريق الثماني الشريف، وبالتالي فكل دين لا يمتلك حقيقة نظرية فحسب بل عملية، ورأى" كونج" أن الاحترام أهم الفضائل الأساسية في علاقتي بالآخر المختلف معي في العقيدة فلا بد من محاولة فهم الآخر بصورة أفضل مثلما يتعين على الآخر فهمي بصورة أفضل في الحوار. إن هذا الأمر سيترتب عليه وجود مشتركات كثيرة تجمعنا تبدو في البداية حصرية على الإطلاق. فليس بإمكان المسيحيين استبعاد التوراة لأنها الأرضية الأصلية التي جاءوا منها، ولا يمكن استبعاد الإسلام لأنه هو الدين الذي جاء بعد المسيحيين الذي يستند بوعي إلى اليهودية والمسيحية، وهو دين يعترف بالأنبياء السابقين بما في ذلك" يسوع" بوصفه نبيًا وإن كان لا يوافق على تأليهه[٢].

لقد طالب "كونج" بإعادة قراءة التقاليد الدينية، وتأويلها تأويلاً دقيقًا بالنسبة لجميع الأديان وخاصة الديانات النبوية الثلاثة التي كثيرًا ما تكون عدوانية ومن ثم يتعين على أتباعها بذل قصارى جهدهم لتجنب الحروب، وتعزيز السلام، وطالب بأهمية وجود فهم معاصر للقرآن

(١) هانس كونج وبول ريكور: من أجل أخلاق أممية (مناظرة أدارها الكاتب الفرنسي برونو شارميه)، ترجمة هدى الناصر، مراجعة البير شاهين، مجلة الاستغراب، العتبة المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، السنة الثانية، العدد ٢٤، ٢٠١٦م، ص٢٩٣.

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٢٩، ص٣٠، ص٤٧.

إذ لا ينبغي أن نقبل المقولات التي تتحدث عن الحرب بوصفها عقائد قطعية دون تمحيص ولكن يتعين علينا فهم هذه المقولات بصورة نقدية في سياقها التاريخي لتنتقل من ذلك العصر إلى العصر الحاضر بقصد تأويل ديني لروح السلام(١).

في الحقيقة إن نبذ العنف من وجهة نظر "كونج" هو شيء يمكن أن يوحد الأديان، فالمطالبة بنبذه موجود في التقاليد الدينية كافة وهو يتفق في ذلك مع "بول ريكور" P.Ricoeur (١٩١٣- ٢٠٠٥م) ، في أن العنف يظهر في الأديان كافة وليس صحيحًا أن الأديان الآسيوية مسالمة من الأصل وخير دليل على ذلك الهندوس الذي يمكن أن يكونوا في غاية العنف ضد المسلمين مثلاً. أضف إلى ذلك أن هناك روايات معروفة عن رهبان بوذيين في غاية العنف في الصين، واليابان، وسيرلانكا، وبالتالي فهناك مبالغة في جعل البوذية في أوروبا مثلا أعلى للديانة المسالمة النابذة للعنف(٢).

وعلى ذلك فإن السلام عند "كونج" ليس بعدًا سياسيًا لكنه بعد أخلاقي وديني فإذا التقت هذه العناصر يصبح السلام ممكنًا ويستشهد كونج بمواقف ايجابية حدث فيها تحول جذري دون سفك دماء مثلما حدث في جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة وتشيكوسلوفاكيا، وفي بلاد الشرق وجنوب أفريقيا والفلبين ففي هذه البلدان كان هناك أشخاص يحركهم الدين وقالوا نحن لم نعد نريد هذا النظام، ونريد أن نغير الأمور، لم نعد نريد الشيوعية ولا العنصرية ولا نظام "ماركس" ، ولكننا نريد هذا دون سفك الدماء نريد أن نصل إلى ذلك عن طريق اللاعنف(٣).

والسؤال المطروح كيف يمكن إقامة حوار من خلال مواجهة النزعات الدوجماطيقية المتغلغلة في كل الأديان ولا سيما الأديان التوحيدية؟ إن "كونج" يعي تماما أنها موجودة في كل الأديان ولا سيما الديانات التوحيدية ويرى أنها تعد ظاهرة دينية لا يمكن التغلب عليها بطريقة مباشرة بل يجب التأكيد والتعامل معها بموقف ديمقراطي واضح، ومتسامح ويجب بذل محاولات للتغلب عليها بالتفاهم وهذا يتضمن قبل كل شيء ازاحة وازالة الظروف التي سمحت وسنحت لها بالظهور، كما يتعين عليه تذكير أصحابها بجذور الحرية والتعددية والانفتاح على الآخرين في تقاليدهم الخاصة: في الكتاب المقدس العبري والتلمود والعهد الجديد وفي تقاليد الكنيسة والقرآن والسنة. وعلى الجانب الآخر لا ينبغي لليبراليين أن ينغلقوا على النقد الذاتي في مواجهة التكيف مع روح العصر الذي لا يستطيع أن يقول لا في مواجهة كل افتقار إلى المضمون الديني والعمق اللاهوتي، ومن ثم طالب "كونج" أتباع الأديان بالسعي وراء تقديم رؤية شاملة

(١) هانس كونج: الدين العنف والحروب المقدسة، مصدر سابق، ص١٧.

(٢) هانس كونج وبول ريكور: مصدر سابق، ص٢٩٤.

(٣) نفسه، ص٢٩٤.

جديدة وتوجه روحي أساسي جديد يمنح الهوية والعيش بمصداقية ولا سيما مع جميع أولئك الذين لا يكتفون بالاستبداد الكاثوليكي الروماني أو الكتاب المقدس البروتستانتي أو الأرثوذكسية التقليدية أو الاتجاهات الرجعية لليهود أو المسلمين أصلا(١).

ويتفق "كونج" في هذا الصدد مع الفيلسوف الفرنسي "روجيه جارودي" Roger Garaudy (١٩١٣-٢٠١٢م) – الذي رفض بقوة ما ذهب إليه "هنتنجتون" عن صراع الحضارات، و"فوكوياما"F.Fukuyama (١٩٥٢-) عن نهاية التاريخ- ويستشهد "كونج" بدعوة "جارودي" إلى حوار الحضارات في مواجهة الأصولية الإسلامية؛ حيث قدم قراءة لصورة الإسلام النموذجي الذي جلب إلى العالم روحًا جديدة للحياة المشتركة ولا سيما الحضارات المحتضرة إذ أكد "جارودي" على وعود الاسلام في عالم ينهار جزئيًا فأكد على أن الإسلام لم يقم فحسب بدمج أقدم الثقافات وأكثرها تطرفًا مثل ثقافات الهند، والصين، وبلاد فارس، واليونان، والاسكندرية، وبيزنطة بل جعلهم مثمرين، وانتشر الاسلام من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي ومن سمرقند إلى تمبكتو كما أنه جلب روح الحياة الاجتماعية الجديدة للإمبراطوريات المنهارة والحضارات المحتضرة(٢).

يقول "كونج" "إن الإسلام كان وسيظل هو نفسه في كل مكان مهما كان اختلاف الوهابيين السعوديين أو الشيعة الإيرانيين أو الإخوان المسلمين المصريين أو مقاتلي حماس الفلسطينيين أو الصوفيين الباكستانيين أو المسلمين الأمريكيين السود. فمن المعتقد أن هناك جوهرا أبديا ثابتا مشتركا لا يتغير فالإسلام يختلف جذريًا عن كل شيء غربي"(٣).

ولا ريب في أن محاولة "كونج" للحوار بين الأديان قريبة الشبه بحديث "كانط" عن المبادئ الحاكمة التي ينبغي تحققها لإقامة السلام العالمي تلك التي أصبحت ضمن أحلام الفلاسفة أو اليوتوبيات التي تفتقر إلى التطبيق وإليك بعض الأمثلة:

ماذا عن الشيفونية Chauvinism التي تتسم بها جل القيادات الدينية في شتى أنحاء العالم؟ وماذا عن المعيار الذي يُحْتَكم إليه لمراعاة آداب الحوار وعدم الاعتداء على حرية الآخرين من الأقليات، أو من الذين يفتقرون إلى قوة الردع؟ وماذا عن العادات والعبادات المرتبطة بالعقائد التي لا يمكن التحول عنها في السلوك الأخلاقي؟ وكيف تتم عملية الفصل بين القيم الأخلاقية والسنن الدينية لدى العوام على وجه الخصوص؟ وهل القوى الأيديولوجية المهيمنة سوف تستسلم راضية للمبادئ والقيم الأخلاقية في السلوك بغض النظر عن مصالحها

(1) Hans Kung: A global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 147.
(2) Hans Kung: Islam: past, present and future, op.cit, p. 16.
(3) Ibid, p. 19.

ومنافعها سياسية كانت أو اقتصادية، كل ذلك أغفله "كونج" في خطابه المتوهم والخادع لأصحاب الخطابات الرنانة.

وإذا ما أردنا أن نقيم محاولة "كونج" لإقامة هذا الحوار سوف نجد العديد من الأمور التي أغفلها "كونج" التي تعكس عدم درايته الكاملة بطبيعة الأديان فعلى سبيل المثال أغفل "كونج" موقف "أفلاطون" العدائي من الملحدين في جمهوريته إذ أمر بطردهم من مدينته في الجمهورية، ووقع عليهم عقوبات في القوانين وهو الأمر الذي يتعارض مع مشروع "كونج" كما يبدو أن "كونج" لم يلاحظ أن اليهودية ليس كيانًا واحدًا بل هي فرق مختلفة بالنسبة للنص المقدس (تلموديين، وتوراتيين، وغيرهم)، ومن ثم يصعب جمعهم في حوار شأنهم في ذلك شأن الكاثوليك، والبروتستانت، والأرثوذكس. ناهيك عن الأديان المعاصرة بالولايات المتحدة الأمريكية وهي مستنسخة من اليهودية، والمسيحية، ومحاطة بمسحة ماسونية صهيونية متمثلة في جماعة السبت أو الأدفانتست Adventists ، وشهود يهوه، والمورمونية .

وأعتقد أن الصراع المنتظر أو المستقبلي ليس بين الأديان التقليدية وضعية كانت أو سماوية ولا بين الإلحاد والإيمان بل بين الأيديولوجيات المسلحة، والمصالح المؤسسة على أنساق عرقية. وفي رأيي كان يتعين على "كونج" أن يصرف جهوده إلى ما بعد الأيديولوجيات وهو الأمر المستحيل، عوضًا عن حديثه عما بعد الدين، وما بعد عالم الروح.

٤- آليات التصالح بين الأديان في عصر ما بعد الحداثة:

لم يخلُ مؤلف من مؤلفات "كونج" من الحديث أو الإشارة إلى الحوار بين الأديان، وآليات التصالح بينها. وقد اجتهدت قدر المستطاع للوقوف على أهم هذه الآليات من خلال استخلاص أهم العناصر واستنباطها من ثنايا كتاباته.

أ- التسليم بأن للكون إله:

من الضروري في رأي " كونج" أن يعي أصحاب الديانات الثلاث في الحوار أن الإيمان بالإله الواحد أمر مشترك بينهم. فالإيمان بالإله الواحد الفعال في التاريخ الذي شهد عليه "إبراهيم" في العهدين القديم والجديد، وكذلك في القرآن يشكل نقطة مرجعية مشتركة بين الأديان الثلاثة فهو معرفة ورغبة وشعور وثقة إذ يشكل الأساس لفهم أفضل وتضامن أعمق بين الجاليات الدينية الثلاث الكبرى التي كانت في كثير من الأحيان معادية لبعضها البعض في الماضي ولا يمكن لأي منهم أن يفهم طبيعته الخاصة دون الرجوع إلى الاثنين الآخرين وبالتالي لا ينبغي اعتبار الآخرين من أرباب الديانات غير السماوية الذين عفا عليهم الزمن بل آباء

وأبناء ، واخوة وأخوات يشتركون في محبة نفس الإله الواحد، لأن هذا الإيمان بالإله الواحد من شأنه أن يخلصنا من الخرافات التي يمكن أن تشكل عائقًا في المصالحة[١] وعلى ذلك يعد "إبراهيم" الجد المشترك لأصحاب الديانات الثلاث فهو الذي يربط بين اليهود والمسيحيين والإسلام فهو جد شعب إسرائيل والأب الجسدي لـ" إسحاق" الذي دعي ابنه "يعقوب" "إسرائيل" وقطع الله معه عهدًا أبديًا وهو الجد الروحي للمسيحيين، وهو نموذج للإيمان الثابت الذي يعلنه المسيح . كذلك فهو بحسب القرآن الجد الجسدي للعرب وأب "إسماعيل" الذي أسس معه الكعبة في مكة بوصفها الحرم المركزي للإله الواحد، فـ " إبراهيم" هو الذي تلقى الوحي الأصلي الذي لم ينزل إلا في القرآن، بالتالي فهناك تقاربًا مشتركًا يضفي على الحوار معنى[٢].

ب- الإنصياع للأوامر الإلهية بوصفها دستورًا أخلاقيًا :

ذهب "كونج" إلى أن الأساس الذي يجمع بين اليهود والمسيحيين، والمسلمين هو الأمر بالطاعة المطلقة لله، وقد فهم اليهود هذه الطاعة بمعنى طاعة الناموس المكتوب الذي جاء به "موسى". ولقد حاول أتباع الأديان في المسيحية والإسلام جعل النص مواكبًا للعصر عن طريق تأويل الآيات والقوانين الإلهية، ويستشهد "كونج" بقول "يسوع" في (إنجيل متي : ٣:١٥) لماذا تهملون أمر الله وتهتمون بحديثكم أنتم؟ فقد نبه "يسوع" إلى أن الطاعة تكون لإرادة الله وليس لحرفية القانون المكتوب. ويضيف "كونج" قائلا أليس من الأفضل أن يتجه المسلمون إلى طاعة إرادة الله ويتخلصون من طاعة النص المكتوب ؟ فإذا اتبع المسلمون ذلك استطاعوا أن يحافظوا على دينهم وفي الوقت نفسه القيام بإصلاحات اجتماعية كبيرة مثل وضع المرأة، وحقوق الانسان، وحق المعارضة، وكذلك طريقة تنفيذ الحدود والقصاص.[٣]

(1) Hans Kung: on being a Christian, op. cit, p. 296.

(2) Hans Kung: Islam, past, present and future, op.cit, pp. 45-52.

(٣) هانس كونج وجوزيف فان اس، مصدر سابق، ص٤٥، ٤٦.

جـ- التنبيه على أن الحب هو التاج الحقيقي لكل القيم الرابطة بين الإلـه والبشر فهو سر الوجود والغاية من الخلق:

لعل من الأمور المشتركة التي تسهم في المصالحة بين الأديان الثلاثة تأكيد العهد القديم والجديد والقرآن على أن الحياة الجنسية والحب البشري هما في جوهرهما هبة من الخالق، فالرجل والمرأة مخلوقان لبعضهما البعض في طبيعتهما الجسدية، وبالتالي لا بد أن ينعم الرجال والنساء بالمساواة في الكنيسة، وخارجها. كذلك وضع القرآن الكريم قيودًا معينة على الاتصال الجنسي في أثناء حيض الزوجة وفي نهار الصيام وأثناء الحج إلى مكة. وعلى الرغم من عدم وجود مثل هذه القيود في العهد الجديد فقد تم افتراض بعضها على خلفية يهودية [١] فكل الأديان دعت إلى المصالحة فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى العهد الجديد نجد أنه قد وضع حدا لعبادة الهيكل المزعجة وقدم المصالحة على العبادة فجعل لها الأولوية على العبادة من خلال مبدأ صالح أخاك أولا ثم تعال وقدم قربانك[٢] فوصايا الله تهدف إلى مساعدة الإنسان وخدمته. فإنسانية الإنسان تفرضها انسانية الله نفسه ومن أساء إلى إنسانية الإنسان أغلق الباب في وجه خدمة الله الصحيحة[٣].

من أجل ذلك نادى" كونج" بتدريب العقل في المراكز البحثية، والمؤسسات الأكاديمية ذات الصلة بعلم التفسير والتأويل وذلك لتحقيق أمرين : أولها تبسيط العوائد والعقائد والعبادات وثانيها: نزع التعصب واقرار المحبة بين أفراد المجتمع في كل الأوساط الإنسانية؛ حيث يسهل قراءة الكتب المقدسة بلا شيفونيه تحفز على العنف، ولا تعصب ينشئ البغض والعنف والتأكيد في الوقت نفسه على أن غاية الدين هو اسعاد البشر، وتهذيب غرائزهم، وتثقيف وجدانياتهم، وعقولهم، ومشاركة كل البشر في حياة تجمع بين المتعة الجنسية واللذة الروحية وتبصير النشء بأن ما جاء في الأساطير من مظاهر القوة والعنف والتعصب ما هو إلا أمثلة للشرور التي يجب الإقلاع عنها في الحياة البشرية المعاصرة . وعلى ذلك فقد طالب بضرورة أن نأخذ على محمل الجد تلك الأقوال والأفعال التي تشجع على المحبة والسلام في كل تقليد ديني بوصفها إلهام لنا في هذا العصر.[٤]

(1) Hans Kung: Woman in Christianity, op.cit, pp. 33-34.

(٢) لقد جاء في انجيل متى الاصحاح الخامس(٢٣-٢٤) إذا حملت قربانك إلى الهيكل، ثم تذكرت أن في نفس أخيك منك شيئًا، فاترك قربانك أمام الهيكل، وعد لتصلح ما بينك وبين أخيك أولاً، وبعد ذلك عد إلى الهيكل وقدم القربان.

(٣) هانس كونج: هوية المسيحي، مصدر سابق، ص ٦٨، ص٧٠، ص٨١.

(٤) هانس كونج: الدين والعنف والحروب المقدسة، مصدر سابق، ص١٦، ص١٧.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

د- تصحيح التصورات المحرفة عن العلاقة التي تقوم بين الأديان:

طالب "كونج" الغرب والكنيسة الكاثوليكية بتصحيح التصورات والمفاهيم الغربية عن "محمد"(ﷺ) والإسلام وذلك بترك الأحكام الخاطئة التي نشأت من الكراهية ضد الإسلام لأن تصور المسلم عن نبوة "محمد"(ﷺ) أنه إنسان لم يتغير بالنبوة وهو المثل الأعلى لكل أتباعه، ويجب على الكنيسة الكاثوليكية التي تحدثت عن المسلمين بوصفهم عباد الله أن تمتلك الشجاعة وتتحدث عن "محمد"(ﷺ) بنفس الوضع لأنه هو الذي دعا إلى عبادة الله وحده ولم يفعل ذلك غيره في زمانه، وبالتالي ليس صحيحًا ما قاله عنه "كارل ياسبرز"K.Jaspers (١٨٨٣-١٩٦٩م) بأنه لم يحظ باهتمام كبير لأنه كانت تعوزه الأصالة وهذا خطأ كبير فقد كان ولا يزال الشخصية الدينية الأصلية والمرجع ، والإضافة للقرآن، والصحابة، ولجزء كبير من الإنسانية[١].

وفي هذا الاطار ينظر "كونج" إلى الإسلام بوصفه دينًا عالميًا لابد من فهمه من الداخل ومحاولة الإجابة على سؤال لماذا يرى المسلم الله والعالم والعبادة وحقوق الإنسان والسياسة والفن بصورة تختلف عما يراه الغرب وبقلب يختلف عن قلوب المسيحيين؟ ويضيف بأن الإسلام بالنسبة للغرب هو أكثر خطورة من الناحية السياسية، والاقتصادية وهو خليط من العنف والشهوة وأن الرسول "محمد"(ﷺ) خادع وهو المسيح الدجال في مقابل إظهار المسيحية على أنها الدين المثالي الذي يحتوي الحقيقة المطلقة والمحبة والتعفف ولعل هدفهم هو حماية أبنائهم من التأثر بالديانات الأخرى من ناحية، وتشويهها من ناحية أخرى، ويؤكد" كونج " أنه رغم كل الصعوبات التي تواجهنا عند محاولة فهم الإسلام الفهم الصحيح فإنه يتعين على المسيحيين الذين يعملون في مجال توجيه الكنائس أن يحاولوا إيجاد نقاط للتفاهم المشترك داخل تلك المشكلة الصعبة.[٢]

يقول كونج" بالنسبة لي شخصيًا فإنني عندما اخترت "عيسى" مرشدًا في حياتي ومماتي وآمنت به مسيحًا فقد اخترت "محمدًا"(ﷺ) أيضا بالمعنى نفسه لأنه جاء بما جاء به "عيسى" من الإيمان بالله والدعوة إلى عدم الشرك.[٣] ويستشهد" كونج " بنماذج من الفكر الغربي ودعوتها للمصالحة، والتسامح بين الأديان فيستشهد بما كتبه "ليسنج"، وروايته "ناثان الحكيم" Nathan The Wise حيث صور فيها الديانات السماوية الثلاثة ذات الأصل السامي، والطابع النبوي التي تم تقديمها في شخصيات حية مليئة بالروح والفهم من خلال ثلاث خواتم متشابهة، وذهب إلى أن أحدًا

(١) هانس كونج وجوزيف فان اس: مصدر سابق، ص٣١، ص٣٢.

(٢) نفسه: ص٢٧. ص٢٩.

(٣) نفسه: ص٧٠.

منهم يمثل الذهب الخالص والآخران ليسا كذلك، لكننا لا نعي ذلك بسبب التشابهات الدقيقة بينهم، وأشار في روايته إلى نموذج للقائد المسلم السلطان الموقر "صلاح الدين الأيوبي" بوصفه الحكيم المستنير، وأشار أيضا إلى شخصية يهودي مستنير (ناثان أول يهودي نبيل في ألمانيا)، ومسيحي غير ناضج ولكنه مستنير في نهاية المطاف (وهو في الوقت ذاته راهب بسيط) وبذلك قدم رؤية مستنيرة ملهمة للمصالحة والسلام بين الأديان في مقابل الكنيسة الاستبدادية البابوية سيئة السمعة التي يمثلها البطريرك البابوي التي تحافظ على مطالبها بالتطرف من خلال السيادة المطلقة أو سياسة القوة وعدم السماح لأتباعها بالنضج الفكري.(١)

لقد قدم "ليسنج" عملاً أكثر من مجرد دراما محايدة تدور حول التسامح، إنها دراما يوتوبية عن المصالحة تدور حول المدينة الفاضلة السياسية، والمدنية لمستقبل أفضل للبشرية حيث يجسدها رمزيًا في نهاية روايته يختص فيها الناس بعضهم البعض من مختلف الأديان بروح فكر "ليسنج" التاريخي وتوجهه نحو المستقبل في رؤية ملهمة للسلام بين الأديان كشرط مسبق لسلام الإنسانية، أو السلام بين الأمم بوجه عام.(٢)

وإلى جانب "ليسنج" لم يسهم أي مفكر أوروبي بدرجة كبيرة في إعادة تقييم الإسلام مثلما فعل "جوته" في ديوانه الغربي الشرقي عام ١٨١٩م، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد التي تختلط فيها الثقافتين الغربية، والعربية من خلال الأشعار الفارسية ممثلة في خبرة الحب عند "سليمان"Suleiman التي تصل إلى ذروتها من خلال المشكلات الدينية. أما في إنجلترا فقد طور الكاتب الاسكتلندي "توماس كارليل" Thomas Carlyle (١٧٩٥-١٨٥١م) في محاضرته الرائعة البطل بوصفه نبيًا The Hero as Prophet حيث دافع عن النبي "محمد"(ﷺ) ووصفه بالنبي الصادق وهو ما يتناقض تمامًا مع الفيلسوف الفرنسي "فولتير" الذي عبر عن ازدراءه للإسلام، أو للنبي وأظهره شخصية سلطوية عديمة الضمير . أما في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد حدثت طفرة هائلة في الدراسات الاستشراقية والنقد التاريخي للإسلام مما مهد الطريق لتقييم أقل جدلا للإسلام من جانب اللاهوت المسيحي والكنيسة وبذلك حدث نوع من التقدم .(٣)

(1) Hans Kung: Islam, past, present and future, op.cit, p. 11.

وانظر:

- Hans Kung: Christianity, Essence, History and future, op. cit, p. 684.

(2) Hans Kung: Islam, op. cit, p. 684.

(3) Ibid, pp. 11-12.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

هـ- استخلاص القيم المشتركة في الكتب المقدسة: وصياغتها في قالب دستور للسلوك والعمل مثل الوصايا العشر وموعظة الجبل ووصايا لقمان التي وردت في القرآن:

لقد أثارت الأخلاق العالمية عند "كونج" العديد من التساؤلات لدى القراء والباحثين والمحاورين لعل من أهم هذه التساؤلات:

هل الأخلاق العالمية دعوة إلى ديانة كونية أو كنيسة جديدة؟ هل من الممكن أن تكون بديلاً عن الأديان وتأخذ صورة ديانة عالمية موحدة؟ هل هي البديل للطقوس والعادات والتقاليد الدينية؟

أجاب "كونج" على هذه التساؤلات وغيرها بالنفي القاطع مؤكدًا في كثير من كتاباته على أن الأخلاق العالمية ليست أيديولوجية جديدة أو بنية فوقية وليس الغرض منها اعلاء أو سيطرة دين على آخر، إنها لا تسعى إلى جعل الأخلاق الخاصة بالأديان والفلسفات المختلفة غير ضرورية: بمعنى أنها ليست بديلا عن التوراة أو الموعظة على الجبل أو القرآن الكريم أو البهاجا فادجيتا Bhagavadgita أو خطابات بوذا أو أقوال "كونفشيوس" لأن هذه النصوص المقدسة تهم مليارات من البشر حيث إنها تعطي الأخلاق العالمية أساسًا متينًا، وتجعلها ملموسة بطريقة مقنعة. إن للأخلاق العالمية منظور مشترك بين جميع الأديان وفي الوقت ذاته لها منظور داخلي يخص كل دين على حده، فوحدة الأخلاق العالمية لا تعني ثقافة عالمية واحدة، ولا حتى ديانة عالمية واحدة بشكل إيجابي ، فهي ليست سوى الحد الأدنى الضروري من القيم والمعايير، والمواقف الأساسية الإنسانية المشتركة بصورة أكثر، إنها إجماع أساسي على قيم ومعايير ملزمة لا رجعة فيها، ومواقف أساسية مؤكدة بواسطة كل الأديان على الرغم من اختلافاتها العقدية التي يمكن أن تشمل غير المتدينين [١].

فالوصايا العشر ليست موجودة فقط في سيناء أو موعظة الجبل أو في القرآن الكريم فحسب بل موجودة أيضا عند "باتانجالي" Patanjali جامع نصوص اليوجا" سُوترا الهندية" وموجودة في شريعة" بوذا" وعند "كونفشيوس"، وفي نصوص أخرى عظيمة لتاريخ أديان الانسانية. إن هذه القواعد الأساسية مشتركة بين الجميع، أي أنها ليست سارية المفعول فقط في محيط الديانات الثلاثة بل أنها موجودة أيضا في الأديان الهندية أو الصينية الأصل[٢].

(1) Hans Kung: A global Ethics for Global politics and Economics, op.cit, pp. 92-93, p. 109.
وانظر:

- Hans Kung: Christianity, Essence, past and future, op. cit, pp. 788- 789.

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٣٨.

كذلك يرتد "كونج" بهذه الوصايا إلى التقاليد الأخلاقية والقانونية للقبائل شبه البدوية قبل بني إسرائيل ولها العديد من التشابهات في الشرق الأدنى ولقد استغرق الأمر قرونا طويلة من الممارسة والتنقيح والاختبار حتى تتخذ الوصايا العشر شكلا ومضمونا عالميا بحيث يمكن اعتبارها تعبيرا كافيا لإرادة "يهوه" وعهد الله مع شعبه، هذه الوصايا التي أخذ بها المسيحيون. وقدم القرآن ملخصا مناظرًا لأهم الالتزامات الأخلاقية وهو الأمر الذي يجعلنا نتحدث بالفعل عن قاعدة مشتركة للأخلاق الأساسية على الأقل فيما يتعلق بالأديان النبوية الثلاثة التي تسعى إلى حماية وحدة الانسانية بالرجوع إلى السلطة الإلهية.(١) أضف إلى ذلك أن "كونج" يرى بأن روح الموعظة على الجبل قريبة من نفس المصطلحات الواردة في أسس "البهاجا فادجيتا" أي الكتاب المقدس الهندوسي.(٢) ومن ثم فقد رفع "كونج" الأخلاق إلى درجة لها من السمو بحيث أنها تعادل الدين تارة، وتسمو عليه تارة أخرى.

ولقد ركز "كونج" على ما هو مشترك بين الأديان في مجال الأخلاق والذي من شأنه أن يقدم إسهامًا تاريخيًا في الأخلاق العالمية وتطورها: فما يشترك فيه الإسلام مع اليهودية والمسيحية هو دين الوحي المكتوب المعطى إلى الأبد الذي هو دين ذو توجه أخلاقي شأنه في ذلك شأن اليهودية والمسيحية يحتضن أخلاقيات أساسية للإنسانية المرتكزة على كلمة الله وارادته، كذلك يشترك اليهود والمسيحيون والمسلمون في أن الله هو الداعم المدافع عن الإنسانية الحقة. إن القرآن يتضمن مطالب إلهية فكل شيء يبدأ فيه بالقول "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ". علاوة على ذلك فإذا تأملنا الواجبات الأخلاقية التي صيغت في البداية لشعب إسرائيل في الوصايا العشر نجد أنه لا غنى عنها بالنسبة لأخلاقيات الانسانية فقد أخذت المسيحية هذه الواجبات حرفيا باستثناء طقوس السبت. أما إذا نظرنا إلى القرآن نجد أنه قدم في نهاية الفترة المكية ملخصا لأهم الالتزامات الأخلاقية التي تظهر العديد من أوجه التشابهات المذهلة مع الوصايا العشر في اليهودية(باستثناء السبت)(٣).

إن لدى "كونج" قناعة بأن الأديان تؤدي دورًا استثنائيًا في إنقاذ العالم من المأزق الأخلاقي؛ لذلك ينبغي أن يؤخذ الدين باعتباره نقطة انطلاق للأخلاق العالمية، وبالتالي فقد يُنظر إلى مشروع الأخلاق العالمية من الناحية الإيجابية على أنه استجابة أو رد فعل للأزمة الأخلاقية الراهنة.(٤)

(1) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, pp. 80- 81.
(2) Hans Kung: Christianity, Essence, past and future, op. cit, p. 52.
(3) Hans Kung: Islam, past, present and future, op.cit, p. 91.
(4) Aleksi Kuokkanen: op. cit, p. 91.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

و- الربط بين القيم الروحية والأخلاقية للكتب المقدسة والكتابات الوضعية الفلسفية التي جاءت في الديانات الوضعية:

بحث "كونج" عن القاعدة الذهبية للإنسانية فوجدها في كل التقاليد الدينية والأخلاقية التي عرفت الكثير من المبادئ الملموسة التي وجدت خير تعبير لها في التقاليد الكونفشيوسية، والطاوية، والجانية Jainisim (ديانة هندية تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد)، والهندوسية، والبوذية، والزرادشتية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام وهي موجودة ضمنيًا أيضا في ممارسات الديانات الأخرى وتشير إلى القيمة الأخلاقية المتساوية لجميع البشر ويجب أن تكون هذه القاعدة المبدأ الثالث، والمطلق لكل مجالات الحياة، والمجتمع، والأديان.

ويستشهد" كونج" ببعض من هذه السياقات:

- يقول "كونفشيوس" ما لا تريد أن يُفعل معك لا تفعله مع شخص آخر.
- يقول الرابي هليل" Rabbi Hillel (٦٠ق.م-١٠م) لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوه بك.
- أما "يسوع المسيح " فيقول كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوه هكذا أنتم أيضا (متى٧ :١٢)، و(لوقا ٦:٣١) كذلك يستشهد "كونج" بما جاء في الأربعين حديثا للنووي Nawawi بقاعدة اعتبرها القاعدة الذهبية التبادلية بقوله"(ﷺ) (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) أي أن محبة الله ومحبة الجار يتطلبان الدرجة نفسها من محبة الذات.
- و"تقول الجانية يجب على البشر أن يكونوا غير مبالين تجاه الأشياء الدنيوية، وأن يعاملوا جميع المخلوقات في العالم كما يرغبون أن يُعاملوا .
- أما البوذية فتقول أن الحالة سواء كانت ممتعة أو غير ممتعة بالنسبة لي فلن تكون كذلك بالنسبة للآخر، وبالتالي كيف يمكنني فرض حالة غير مبهجة على شخص آخر.
- وتقول الهندوسية لا ينبغي للمرء أن يتصرف تجاه الآخر بطريقة غير سارة، فهذا هو جوهر الأخلاق.[1] وفي هذا الاطار يتفق "كونج" مع الفيلسوف الوجودي الألماني "بول تيليش" P.Tillich (١٨٨٦-١٩٦٥م) حيث ذهب "تيليش" إلى أن القاعدة الذهبية كانت معروفة للغاية عند اليهود، واليونان، وإن كان معظمها بصيغة سلبية لكن من

(1) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, pp.98- 99, p. 229.
وانظر:
-هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، ص٣٢، ص٣٣.

المؤكد أن الشكل الإيجابي (عامل الناس مثلما تحب أن يعاملوك) أقوى في المعنى وأقرب إلى الحب، فالحب هو الذي يجعل القاعدة الذهبية ممكنة وهو الذي يجعل العدالة على نحو ما ينبغي أن تكون كما جرى التعبير عنها في موعظة الجبل التي ظهرت فيها القاعدة الذهبية بوصفها المحتوى الحقيقي للمسيحية[١] ومن هذه القاعدة الذهبية اقترح "كونج" في اعلان شيكاغو ١٩٩٣م أن تتضمن الأخلاق العالمية مبدأين أساسيين متجسدين في كل ديانات العالم سماوية كانت أم وضعية بالإضافة إلى أربعة إرشادات أو توجيهات تطورت منذ فجر التاريخ الإنساني: المبدأ الأول يجب معاملة كل إنسان بطريقة إنسانية بما في ذلك الخصم وفقا لشريعته وكرامته التي هي حق أصيل من حقوق الانسان وهو قائم على التبادلية.

المبدأ الثاني: وهو موجود ومستمر في العديد من التقاليد الدينية والأخلاقية الانسانية وصيغته مؤداها :

إن ما تتمنى أن تفعله لنفسك افعله مع الآخرين، ويمكن صياغته بطريقة أخرى: حِبُّ لأخيك ما تحب لنفسك. كما أن لهذا المبدأ صيغة سلبية ما لا ترغب أن يحدث لنفسك لا تفعله بالآخرين. وينبغي أن يشكل هذين المبدأين قاعدة غير قابلة للنقض، وغير مشروطة لجميع مجالات الحياة للأسرة، وللمجتمعات، والأجناس، والأمم، والأديان[٢]. ولعله متأثر في ذلك بالمبدأ الكانطي "افعل بحيث تستطيع أن تريد أن يصبح مبدأ فعلك قانونًا عامًا[٣] إن القانون العام هو الذي يقول أنه يتعين علينا ألا نفعل فعلاً حتى يكون مطابقًا للمسلمة التي يمكن أن تتخذ من نفسها موضوعًا يعد قانونًا كليًا شاملاً وهي سمة أو خاصية للأمر الأخلاقي المطلق[٤] علاوة على ذلك لم يكتف "كونج" بهذين المبدأين لكن قام بتطويرهما من خلال سلسلة من التوجيهات أو الواجبات سارية المفعول على الناس جميعا بإسهاب في اعلان برلمان الأديان العالمية الذي انبثق عن المقاييس العالمية للأخلاق عام١٩٩٣م بشيكاغو التي حصرها في أربع توجيهات لا رجعة فيها وتتفق عليها جميع الأديان:

(١) بول تيليش: الوجود الجيد، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد، دار الكلمة، LOGOS ، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٧، ص٤٩.

(2) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 110.

(٣) كانط: مشروع للسلام الدائم، ترجمة د عثمان أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص١٠١.

(٤) ايمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبدالغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٥، ص١٠٣، ص١٠٤.

أ- الالتزام بثقافة اللاعنف واحترام جميع أشكال الحياة واتباع الوصية القديمة(لا تقتل) أو بمصطلحات إيجابية(عليك احترام الحياة).

ب-الالتزام بثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل واتباع الوصية القديمة جدًا (لا تسرق) أو بصيغة إيجابية (تعامل بصدق ونزاهة)

ج- الالتزام بثقافة التسامح وحياة الصدق واتباع الوصية القديمة (لا تكذب) أو بمصطلحات إيجابية(تحدث وتصرف بصدق)

د- الالتزام بخلق ثقافة المساواة والاحترام المتبادل في الحقوق والشراكة بين الرجال والنساء: أي الوصية القديمة (لا ترتكب الزنا) أو بمصطلحات إيجابية (احترموا وأحبوا بعضكم بعضًا)[١]. وعلى ذلك فالقاعدة الذهبية هي قاعدة نظرية متأصلة في الوعي الإنساني وهذه القاعدة لا ينبغي تطبيقها في السياسة فحسب بل في الاقتصاد أيضا، ولقد تبنى مجلس العمل الدولي هذين المبدأين من إعلان نحو أخلاقيات عالمية الصادر عن برلمان أديان العالم وفي الوقت نفسه أشار بشكل مؤكد إلى التوصيات الأربع للإعلان والتي لا رجعة فيها.[٢]

ز- الترويج لشعار الأُخوة العالمية الذي تدعو إليه الماسونية:

لقد اعترف "كونج" بأنه تأثر بالمفكر الياباني "نيكيو نيوانو"Nikkyo Niwano (١٩٠٦-١٩٩٩م) الذي وضع مبادئ أربعة للأخلاق والسلام العالمي وبالتالي أصبح رائدًا في التعاون بين الأديان والعمل من أجل السلام في اليابان وآسيا وجميع أنحاء العالم حيث أسس حركة بوذية قوية معترف بها عالميا من أجل المصالحة والحوار والسلام ولقد نظر "كونج " إلى هذه المبادئ على أنها تلامس الأفكار التي تم تطويرها في مشروعه للأخلاق العالمية:-

المبدأ الأول: يؤكد "كونج" مع نيكيو نيوانو" أن جميع الناس إخوة وأخوات ويضيف "نيوانو" بأن مختلف الأشخاص والأجناس هم أبناء بوذا، فالوعي بالإخوة العالمية شرط أساسي للسلام، وهو ما جاء في إعلان شيكاغو نحو أخلاق عالمية بمعنى أنه يسود بيننا الترابط وكل منا يعتمد على الآخر لذا فإننا نحترم جميع الكائنات الحية .

(1) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, pp. 110-111.

وانظر:

-هانس كونج: الأخلاقيات العالمية والتعليم في التسامح، ترجمة بهجت عبدالفتاح عبده، مجلة ديوجين، العدد ١٧٦، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، القاهرة،١٠٩- ١١٠

(2) Ibid, p. 232.

المبدأ الثاني: التأكيد على تعاليم بوذا المتمثلة في أنه من الخطأ حرمان الآخرين من الحياة وتجريدهم من ممتلكاتهم، والكذب من أجل تبرير الذات أو التحدث بسوء عن الآخرين من خلال الكراهية، وبالتالي جاءت دعوة رجال الدين إلى الانخراط في غرس جذور الفضيلة.

المبدأ الثالث: يتفق "كونج" مع "نيكيو نيوانو" إلى دعوة جميع الأشخاص الذين عقدوا العزم على فعل الخير بغض النظر عن دينهم إلى الانضمام إلى الآخرين الذين يسعون بإصرار إلى تحقيق المثل العليا وهو ما يعني التعاون من أجل الصالح العام، فالسلام العالمي لا يمكن تعزيزه إلا من خلال تحالف يضم جميع الأشخاص ذوي النوايا الطيبة سواء كانوا مؤمنين أو لا.

المبدأ الرابع: يطمح "نيكيو نيوانو"- كما يطمح "كونج"- إلى خلاص كل الأحياء من الأنانية، والتحرر من المعاناة ليس كقيمة روحية فقط بل كقيمة اجتماعية بارزة على المستوى الفردي، والاجتماعي، كل هذه الأفكار تتلاقى مع مشروع "كونج" في الأخلاق العالمية والتأكيد على حقوق كل الأفراد ومسؤولياتهم تجاه الموجودات الإنسانية الأخرى.(١) كذلك لا يمكن أن نغفل تأثر "كونج" بـ "المهاتما غاندي"M. Gandhi (١٦٨٩- ١٩٤٨م) واصفًا أولئك الذين يستجيبون لأفكاره بأنهم أصحاب الأخلاق العالية الذين يضعون في اعتباراتهم تحذير "غاندي" من الأخطاء السبعة المميتة في عالمنا المعاصر: ثروة بلا عمل، ومتعة بلا ضمير، ومعرفة بلا خلق، وعلم بلا إنسانية، وتجارة بلا أخلاق، ودين بلا تضحية، وسياسة بلا مبادئ(٢).

حـ- إعادة النظر النقدي في العادات، والتقاليد الموروثة لانتقاء النافع، واستبعاد الغث:

على الرغم من الاختلافات بين التقاليد الدينية الكبرى فإن هناك مجموعة من السمات المشتركة الموجودة في التقاليد الدينية الكبرى، وهي بمثابة النواة لتشكيل أساس للأخلاق العالمية المشتركة:-

أ- تهدف الأديان بصفة مستمرة إلى الاهتمام بمبادئ أخلاقية إنسانية مثل رفاهية الإنسان وكرامته، وحريته، وحقوقه، كل ذلك يمثل هدفًا لكل دين من الأديان الكبرى من

(1)Hans Kung: Commemorative Address, Niwano peace Foundation, 22nd Niwano peace, Buddhist - Christian studies, Vol. 26, university of Hawaii press,2006, pp. 205-206.
(2) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p.26.

حيث تخفيف المعاناة، والسعي إلى تحقيق العدالة، وتقديم الخير للفقراء، والمهمشين كل ذلك يتم توضيحه عن طريق سلطة مطلقة ذات أساس ديني .

ب- توفر الأديان معايير للسلوك الانساني الأساسي، فعلى الرغم من اختلاف الأديان إلا أن هناك معايير أساسية لتوجيه السلوك، ويضرب "كونج" أمثلة على ذلك مثل تحريم القتل، والكذب، والسرقة، والفجور بالإضافة إلى المشاعر الايجابية المتمثلة في المحبة وتكريم الوالدين، والأطفال .

جـ- تنادي الأديان بتبني فكرة الحد الأوسط، أو الوسط الذهبي من أجل السعادة أي الاعتدال بين شيئين لا إفراط ، ولا تفريط أي بين طرفين أخلاقيين وهذا يمثل نوعًا من العقلانية المتاحة في هذا الوسط، كما هو الحال عند "آرسطو" فهناك طريق وسط بين الجشع، وازدراء الممتلكات، والمتعة، أو الهوى وبين الزهد والشهوة وعداء الحواس، والاستسلام للعالم أو انكاره وفي الديانات يتم تقديم الوسط كأسلوب حياة يجب تنميته من خلال ممارسة الفضائل التي تمكن الأفراد من القدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة. (١)

وبطبيعة الحال فقد تأثر" كونج " بالأخلاق الكانطية فقال إن" كانط" كان مؤولا شجاعا يمتلك وعيا أخلاقيا فيما يتعلق بأخلاق الواجب حيث يستبعد أي نوع من أخلاقيات المتعة أو الأخلاقيات النفعية، ويؤكد على مسألة فعل الخير لذاته والقانون والواجب والفضيلة والأخلاق، والضمير وفي الوقت ذاته التأكيد على حرية الإنسان، وبذلك جمع بين القانون والحرية في فكره.(٢)

إن الأخلاق عند "كونج" محملة بالواجب والعقل غير قادر على تبرير الأخلاق قبل كل شيء كواجب، ومن ثم اعتقد بأن الواجب الصحيح يجب أن يتضمن نوعًا من الثقة العقلانية الفائقة، والخبرة، والقرار العقلاني الصائب لصالح مصدر الواجب الذي يتجاوز الذات. إن الأخلاق الموضوعية يمكن أن تقوم على شيء آخر غير العقل والبديل الوحيد هو الدين الذي يتجاوز حدود المنطق. إن الدين هو شرط مسبق للأخلاق المعقولة، وهو الضامن لصحة السلوك الأخلاقي، إذ ميز "كونج" بين تنفيذ الواجب الأخلاقي من ناحية والمبدأ الذي يقوم عليه الواجب الأخلاقي أي الأساس المنطقي الفلسفي للأخلاق من ناحية

(1) Hans Kung: A Global Responsibility, op. cit, pp. 57-58.
(2) Hans Kung: Does God Exist, op. cit, p. 541.

أخرى، فالأول ممكن بغض النظر عما إذا كان الشخص لديه قناعة دينية من عدمه فيمكن للإنسان غير المتدين أن يحيا حياة إنسانية اصيلة أخلاقية [١].

ومن هذه الزاوية فإن وجهة النظر الأخلاقية القائمة على الواجب عند "كونج" تشبه الأخلاق الكانطية، وبالتالي فإن الجانبين: الأخلاق القائمة على الواجب والأخلاق اللاهوتية مرتبطتان بعضهما ببعض بحجة "كونج". وعلى النقيض من " كانط" فإن" كونج" يصر على أنه دون الدين لا يمكن تحديد أي أساس للوفاء بالواجبات الأخلاقية. فهناك الحاجة إلى مصدر متعال يتجاوز الإنسان كي يكون صالحًا من الناحية العملية بالنسبة لـ" كونج". هذا يعني أن الدين ضروري حتى يتم أخذ الأخلاق بعين الاعتبار، وبهذه الطريقة يتعانق علم الأخلاق مع علم اللاهوت بشكل مثير في فكر "كونج" [٢].

ط- الدعوة إلى مشروع أخلاقي عالمي موحد:

بدأ "كونج" مشروع المقاييس العالمية للأخلاق عام ١٩٨٩م وتم الإعلان عنه، واعتماده في سبتمبر عام ١٩٩٣م في برلمان أديان العالم، في محاولة منه لرصد ما هو مشترك ومتوافق بين أديان العالم، وفلسفات الأخلاق لكن دون أن يتطرق إلى الاختلافات بين الأديان، وأعلن أن هدفه هو وضع الحد الأدنى من قواعد السلوك الإنساني "النواة الأخلاقية" من الدين والأخلاق التي يمكن للجميع قبولها، وهو ما لم تنجح فيه فلسفات الحداثة، وقد قام "كونج" بتجسيد هذه الرؤية تحت عنوان " نحو أخلاقيات عالمية" حيث وقع على هذا الإعلان العديد من زعماء الأديان الروحية في جميع أنحاء العالم[٣].

وهو يتفق في ذلك مع ما ذهب إليه الفيلسوف الأمريكي "مايكل والزر"M. Walzer (١٩٣٥-) الذي نادى بأخلاق الحد الأدنى، وأطلق على معايير الأحلاق المشتركة مبادئ نحيلة Thin وفي الوقت ذاته يختلف مع ما ذهب إليه بعض المفكرين أمثال "ميشيل فوكو" M. Foucault (١٩٢٦- ١٩٨٤م)، و"ريتشارد رورتي"R.Rorty (١٩٣١- ٢٠٠٧م)، و" روديجر بوبنر"R.Bubner (١٩٤١- ٢٠٠٧م)، و "ألسدير ماكنتاير"A .MacIntyre (١٩٢٩-) حيث أكدوا على استحالة وجود إجماع عالمي على الحد الأدنى الأخلاقي، طالما لا يوجد إلا أخلاقيات نسبية إقليمية فقط. وعلى الجانب الآخر فقد دافع كلٌ من" ليوتار"

(1) Aleksi Kuokkanen: op. cit, p. 20.
(2) Ibid, p. p. 22.
(3) Singgin Basuki: op. cit, p. 70.

وانظر:

-Father John E.Boll: op. cit, p. 4.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

J.F.Loytard (١٩٢٤– ١٩٩٨م) ، و"فيلش" W.Welsh عن تعددية جذرية في موضة ما بعد الحداثة مدعين أن الحق والعدل والإنسانية يوجد داخل هذا التعدد.(١)

إن مشروع المقاييس العالمية للأخلاق عند " كونج" ليس بناءً عقليًا مجردًا ألبته بل يهدف إلى إلقاء الضوء على القيم الأخلاقية التي تتفق عليها أديان العالم الكبرى، رغم اختلافاتها، والتي يمكن أن تظهر كمعايير صالحة من خلال معناها المقنع أيضا للعقل العلماني.(٢)

وفضلاً على ذلك فإنه ليس مجرد مشروعًا دينيًا يأخذ كل الأديان مأخذ الجد. فمن الوهم الاعتقاد بأننا نستطيع ممارسة السياسة دون أخذ الدين مأخذ الدين، فلا يمكن الاستغناء عن إسهام الأديان لأن للتدين بعدًا عميقًا وبنية عميقة للإنسانية، فقد أدرك كثير من الناس منذ الحادي عشر من سبتمبر عام٢٠٠١م أن السلام بين الأمم لن يتحقق دون سلام بين الأديان، وأن المعايير الأخلاقية المشتركة المطلوبة ذات أهمية قصوى، هذه المعايير التي تضرب بجذورها في القدم، وبالتالي فالمعايير الأخلاقية تتجاوز كل الثقافات، ولهذا السبب بالذات تحاشى "كونج" نظرية صدام الحضارات ثم تطور الأمر أن تحول المشروع إلى حوار الأديان الذي تنظمه الأمم المتحدة، وتم تعيين "كونج" رئيسًا لهذا المشروع(٣).

ولعل المقصود بالأخلاق العالمية عند" كونج" هو مجموعة من القيم والمبادئ والقواعد الأخلاقية المشتركة – منذ نشأة الخليقة– في كل الأديان والحضارات والثقافات الموجودة في العالم وهذا يعني أنها تنبع من جميع الآراء الدينية، وغير الدينية، أو الإنسانية التي يمكن استيعابها بسهولة كي تكون نهجًا عالميًا في التعامل مع السلوك الانساني، وهي تضم قيم العدالة، والرحمة، والتعاطف، واحترام حقوق الانسان، وهذه القيم تشكل اطارًا أخلاقيًا ذا مغزى يمكن أن يرشدنا إلى كل التفاعلات بين الثقافات، وبالتالي يمكن تطبيقه، والسعي نحو ايجاد نقاط مشتركة للتعايش. إنها تهدف إلى إخبارنا أو إعلامنا بما تشترك فيه الديانات في الشرق والغرب والشمال والجنوب بالفعل، إنها تسعى إلى التأكيد على الحد الأدنى للأخلاق الضرورية للغاية من أجل البقاء الانساني إنها ليست موجهة ضد فئة أو أحد إنها موجهة لجميع المؤمنين وغير المؤمنين لتبني هذه الأخلاق، والعيش وفقًا لها في ظل العولمة(٤).

ولقد اتفقت رؤية د/ الخشت مع رؤية "كونج" في إمكانية وجود حد أدنى أخلاقي مشترك يجمع بين الأديان –على الرغم من اختلافاتها– وفلسفات الأخلاق، ويكون بمثابة القاعدة الذهبية التي تعد الأساس لكل المعايير الأخلاقية الكونية وتكون محل إجماع بين

(١) د . محمد عثمان الخشت: مرجع سابق، ،ص٥٩.

(٢) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص٤٥.

(٣) نفسه، ص١١٤، ص١١٥.

(4) Richard Morgan: op.cit,, pp. 12-13.

الأديان سواء كانت وضعية أو سماوية، وكذلك الفلسفات وفقًا لمبدأ "عامل للناس مثلما تحب أن يعاملوك"(١).

فإذا اعتمدت الأديان على الأخلاق الفلسفية سواء كانت مستوحاه من فلسفة التحليل اللغوي أو نظرية فرانكفورت النقدية أو نظريات التاريخ فمن المفترض أن مثل هذه الأمور لن تتجاوز إشكالية التعميمات و النماذج البرجماتية ذات الأسس المتعالية أو النفعية أو حتى الإقليمية(٢).

على هذا الأساس فإننا يمكن أن نجد مصادر الأخلاق العالمية في الرؤى والتجارب العاطفية والذكريات التاريخية والتوجهات الروحية للشعوب والموارد الثقافية وعلى الرغم من كل الاختلافات بين الثقافات فهناك بعض النماذج التي تظهر في معظم التقاليد الثقافية التي يمكن أن تكون مصدر إلهام للأخلاق العالمية، وإلى جانب عناصر التقاليد الثقافية هناك عناصر أخلاقية مستمدة من الثقافة المدنية العالمية التي يمكن دمجها بالمثل في أخلاقيات عالمية جديدة وهي تهتم بالركائز الأخلاقية الخمس الآتية:

١- حقوق الإنسان ومسؤولياته .

٢- الديمقراطية وعناصر المجتمع المدني.

٣- حماية الأقليات .

٤ - الالتزام بالحل السلمي للنزاعات وإجراء مفاوضات عادلة.

٥- المساواة في المعاملة بين الأجيال.(٣)

من هنا أعلن "كونج" قبوله لمبدأ القتل الرحيم Euthansia من وجهة نظر مسيحية ثم نشر مقالاً بعنوان "الحياة الإنسانية" رأى فيه أن الناس لديهم الحق في إنهاء حياتهم بسبب مرض جسدي، أو ألم، أو خرف عقلي، يجعل حياتهم لا تُطاق وهو شخصيًا فكر في خيار الانتحار بسبب معاناته من مرض الشلل الرعاشي الذي أفقده القدرة على الرؤية والكتابة بيديه، وأعلن أنه لن يرغب في أن يحذو حذو "بولس الثاني" في هذه الحالة (٤).

ومن هذا المنظور لا يمكن لأي أخلاق في حد ذاتها أن تضمن القيم والأعراف والمثل العليا دون قيد أو شرط بل الدين وحده هو الذي يجعلها ملموسة، فالتوجهات

(١) د. محمد عثمان الخشت: مرجع سابق، ص٧-٩، ص٨٦-٩١.

(2) Stephen Chan: op.cit, p. 258.
(3) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 143.
(4) Father John, E. Boll: op.cit, pp. 5-6.

الأخلاقية لا تكون مطلقة إلا على افتراض مطلق، ويمكن للعقل الإنساني الخالص أن يمدنا بأساس القيم والمعايير والدوافع والمثل العليا لكنها تظل مشروطة، فالدين يعطي الإجابة على السؤال النهائي حول لماذا نحن مسؤولون؟، كذلك لا يمكن لأي أخلاقيات عالمية بل الدين وحده الذي يخلق مستقرًا روحيًا، وثقة، وأمل من خلال الطقوس والرموز المشتركة، فالدين وحده يمكنه حشد الاجتماع، والمقاومة ضد الظروف غير العادلة حتى عندما يبدو الاحتجاج والمقاومة غير مثمرة بسبب الإحباطات [١].

ومن المؤكد أن العلم والتكنولوجيا ليس بإمكانهما خلق هذا الإجماع حول الأخلاق بل أنهما في حاجة إليه، لأن المشاكل الاقتصادية والتكنولوجية الكبرى في عصرنا أصبحت على نحو متزايد فهناك مشكلات سياسية، وأخلاقية تتطلب الكثير من علم النفس والاجتماع والنظرية السياسية وحتى الفلسفة في بعض الأحيان. ويعتقد بعض الفلاسفة أن التوصل إلى إجماع عالمي أساسي حول المسائل الأخلاقية أمر مستحيل ما دام لا يوجد سوى أخلاقيات إقليمية بينما يدافع فلاسفة آخرون عن التعددية الراديكالية التي تدعى بطريقة ما بعد الحداثة أنها راضية عن الحقيقة والعدالة الانسانية في التعددية بينما يعتقد فريق ثالث من الفلاسفة بأنه ربما يكون هناك شيئا مشتركا يستحق تسليط الضوء مثل المعايير الأخلاقية العالمية حتى بين البشر على اختلاف الأمم والثقافات والأديان.[٢]

وباختصار فإن هناك علاقة تكاملية بين الدين والأخلاق – في رأي "كونج"– فالمسيحيون خاصة شأنهم شأن كل المتدينين من حيث المبدأ لا ينبغي عليهم أن يجعلوا الدين والأخلاق في مقابل كل منهما الآخر، فالدين هو الذي يحمل معظم القناعات التي تتمثل في الزام الناس بأخلاق إنسانية وأخلاق منفتحة على البعد الديني المتعالي الذي هو الداعم، والمحفز في نهاية المطاف[٣].

وبطبيعة الحال فإن هناك احتمالين للأخلاق عند "كونج" أحدهما مستمد من العقل المستقل، والآخر مستمد من الدين وقد بنى "كونج" هذا المقترح بناء على النقص الواضح في الآخر فقد زعم أن مشروع العقل المستقل لعصر التنوير قد خسر معركته من أجل وضع مبرر للأخلاق على حساب الدين، وعلى ذلك طالب "كونج" بنموذج ما بعد حداثي ليحل محل مُثل التنوير، واعتقد "كونج" أن هذا النموذج يقدم الامكانية الأكثر أصالة للاعتراف بالبعد الديني، ومع ذلك لم يثبت "كونج" في النهاية أن الدين هو القوة الوحيدة

(1) Hans Kung: A Global Ethics for Global politics and Economics, op. cit, p. 143.
(2) Ibid, p. 93.
(3) Ibid, p. 143.

التي تحفز الفعل الأخلاقي، وأثبت أن العقل المستقل في كثير من الأحيان بإمكانه أن يحقق نتائج أخلاقية جديدة. وبالتالي وقع" كونج" في تناقض ذلك لأن مشروعه يتضمن إشارة واضحة إلى مصداقية الأخلاق غير الدينية، وبطريقة ما فإن "كونج" لا يبدو متشائمًا جدًا من قدرة العقل المستقل على تبرير الأخلاق [١].

ولقد ذهب "كونج" في كتابه" لماذا أنا ما زلت مسيحيًا"؟ إلى أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تبرير الأخلاق بصورة عقلانية بحتة، فلا يمكن أن نتجاهل أهمية، ووظيفة الظاهرة الدينية التي قدمت لآلاف السنين مبررًا للأخلاق والوجود للقيم الاساسية للرجل وللمرأة، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نضع الدين جانبًا دون قبول العواقب، فلا يوجد عمل أخلاقي، أو إنساني ملزم دون قيد، أو شرط، ولا يوجد أخلاقيات ملزمة بلا دين [٢].

إن المقاييس العالمية للأخلاق في رأي "كونج" صارت ضرورة ملحة في عصر العولمة لأن العولمة عملية تخص كل الأديان أيضا فلا يوجد دين يعيش معزولا بمفرده فكل دين لا بد أن يعمل حسابه سرعان ما يأتيه شخص من الخارج، وقد يتركه آخر من الداخل منطلقًا إلى العالم الآخر برمته قبل أن يعود إلى جذوره مرة أخرى. فالمقاييس العالمية للأخلاق مسألة انسانية موجودة في كل دين لكنها للأسف كثيرًا ما يتم تقديمها من قبل الكنائس في صورة الأخلاق المفهومة فهما ضيقا وصار الناس يشعرون بها كشيء يستخدم لقمعهم ، وبالتالي طالب "كونج" بتحقيق عولمة المقاييس الأخلاقية على غرار الاقتصاد، والتكنولوجيا، والاتصالات، لأن عدم تحقيق عولمة المقاييس الأخلاقية يفضي إلى الإضرار بالإنسانية[٣].

إن أحد تفسيرات مشروع "كونج" الأخلاقي أن "كونج" و"كانط" حليفان بطرق متعددة فهما يتحدثان عن نفس الشيء بأسماء مختلفة فقد تحدث "كانط "عن القانون الخلقي فوق الذات الانسانية داخل اطار المتعالي. ربما يكون الفرق بين لاهوت "كونج"، و"كانط" هو التركيز الوجودي الأكثر وضوحا ودقة لـ" كونج" حيث هدف إلى توسيع المفهوم الكانطي للعقل العملي من دوره في مجال الأخلاق إلى كونه أساسًا للوجود الإنساني برمته. ويفضل "كونج "اللاهوت على الفلسفة بشكل أكثر جذرية مما يفعله "كانط".[٤] كذلك من ضمن التحالفات بينهما أن الدين عندهما يفترض الأخلاق مسبقًا، وبالتالي فكل منهما فهم الدين فهمًا أخلاقيًا، فقد لا نبالغ كثيرًا إذا قلنا بأنه إذا كان "كانط" قد أسس الدين على الأخلاق

(1) Aleksi Kuokkanen: op.cit, pp. 17-18.

(2) Hans Kung: Why I am still a Christian, op. cit, p. 26.

(٣) هانس كونج: لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، مصدر سابق، ص١٤٩، ص١٥٠.

(4) Aleksi Kuokkanen: op.cit, pp. 27-30.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

ولم يؤسس الأخلاق على الدين فإن "كونج" لم يبتعد عن ذلك كثيرًا في العديد من أفكاره، فكل من الأخلاق، والدين يكمل بعضه البعض الآخر، ويكاد يكون الاختلاف بينهما في أن "كانط" استبعد الإيمان التاريخي أو ما أسماه ديانة الوحي الذي لا مكان له في فكر "كانط" في حين أبقى "كونج" على هذا الإيمان.

ولقد انتقد فيلسوف اللاهوت الأمريكي "ريتشارد كاي فين" Richard K. Fenn(١٩٣٤-)" كونج" ورأي أنه يعلم أن الدين سلاح ذو حدين فمن الممكن أن يكون مقررًا لمصير السلام الدولي، ومن الممكن أيضا أن يكون قاتلاً له. لكنه مع ذلك ينظر إلى ديانات العالم بوصفها مصدرًا لأخلاق عالمية تتمثل في احترام الاختلافات، والمسؤوليات، وضبط النفس، والحل السلمي، واحترام الآخرين، وبخاصة الفقراء، والأقليات [١].

لعل من أهم الانتقادات التي يمكن توجيهها إلى "كونج" أنه استبعد الاختلافات وركز على ما هو مشترك في مجال الأخلاق دون أن يدور بفكره العديد من المشتركات الأخرى التي غابت عن ذهنه مثل المشترك التاريخي، والعقدي، والمذهبي، وغيرها. أضف إلى ذلك أن القواسم المشتركة لا تعد حلاً جذريًا من أجل سعادة الناس وخلاصهم، ولكن لا بد من معايشة الواقع أعني التسليم بالاختلاف والتعايش معه وألا يكون الاختلاف سببا في البغض والتنافر بين البشر.

وفي نهاية المطاف ينتقد "كورنيلو ث.سميت" Corneliu C.Smiut لاهوت "كونج" ويرى أنه ليس لاهوتًا مسيحيًا بل لاهوتًا سياسيًا فما يهمه حقا ليس الرسالة التقليدية للكنيسة، وإنما نظامًا سياسيًا واجتماعيًا مستقرًا يأمل حقا في تحقيق نظام عالمي جديد يتسم بالسلام والوئام والتناغم، وليس في خلاص العالم من الخطيئة بناء على موت "يسوع المسيح" وقيامته وصعوده. لهذا السبب يعتقد بقوة أن الكنيسة يجب أن تحقق السلام بين الأديان إذا أردنا أن يصبح العالم مكانًا ينعم بالسلام. وبالتالي يعتبر "كونج" أن مهمة الكنيسة هي المشاركة الاجتماعية، والسياسية، والدينية بهدف فرض عصر جديد من السلام لصالح الانسانية بأسرها[٢].

تلك كانت الأفكار الرئيسية التي شكلت بنية محاولة "كونج" لتصور الدين والأخلاق في مرحلة ما بعد الحداثة وقد استلهمت عنوان البحث من انشغال فيلسوفنا بمصطلح

(1)Richard K. Fenn: Toward a Global Ethic: A response to Hans Kung, International Journal of politics, culture and Society, Vol.13,No.1, 1999, p. 49.

(2) Corneliu C Smiut: op. cit, p. 137.

المابعدية في شتى الأصعدة (المعرفية، والدينية، والروحية، والأيديولوجية) ويتمثل ذلك في حديثه عن ما بعد الحداثة، وما بعد الدين، وما بعد الأخلاق الجامعة بين الكتب المقدسة، وأحكام الفلاسفة، وما بعد الروح، وما بعد الصراع، وعولمة ما بعد الحداثة أي أننا أمام فيلسوف حالم في التصورات المستقبلية وقد انتهت دراستنا إلى عدة نتائج.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- لقد عاش "كونج" حياته ولديه قناعة شخصية بأنه صاحب رسالة هدفها استعادة المعنى الحقيقي للإيمان المسيحي والسعي نحو الحوار الديني والمصالحة بين الأديان من خلال مجموعة من الآليات من أجل السعي نحو تحقيق السلام العالمي وهو الأمر الذي جعله يتعامل ببراعة مع الأيديولوجيات التي هدفت إلى إزاحة الإيمان الديني.
- إن قضية تغيير الاتجاهات الفكرية مثل الاصلاح الديني والحداثة وما بعد الحداثة والليبرالية، والحريات الدينية، وحقوق الإنسان مثلت الشغل الشاغل لفكر" كونج" الديني منذ سبعينيات القرن الماضي حتى نهاية حياته.
- إن استخدام "كونج" لمصطلحات مثل الوجود الإنساني والحرية والاغتراب يجعله أقرب ما يكون إلى أفكار الفلاسفة الوجوديين.
- لقد حاول "كونج " أن يظهر بوجه معتدل في طرحه الأديان السماوية والوضعية فقد تحدث عن الأديان – من الناحية الظاهرية– بموضوعية إلى حد كبير كما أنه لم يفضل ديانته المسيحية على سائر الأديان، وعندما أراد أن يتعرض لليهودية أقام حوارًا مع مفكر يهودي وكذلك الحال عندما تعرض للإسلام شارك أحد المعنيين بالدراسات الإسلامية بعض قضايا الإسلام.
- لقد توصل" كونج" في كتابه الاسلام: الماضي والحاضر والمستقبل إلى أن النتائج التي صاغها في الأخلاق العالمية موجودة بالفعل في القرآن الكريم والحديث مع ضرب أمثلة مثل احترام الحياة، وعدم السرقة، أو الاستغلال أو الرشوة أضف إلى ذلك فضائل مثل العدل، والتسامح.
- إن أهم ما اتسم به منهج" كونج " الحواري هو انفتاحه على الأديان الأخرى ودعوته إلى أخلاق عالمية لا تكون بديلة للكتب، والنصوص والتعاليم المقدسة، وإنما هدف الأخلاق العالمية هو استخلاص القيم المشتركة التي ينبغي أن تسود بين البشر بهدف الأخوة، والأخلاق العالمية.

- إن مشروع "كونج " أقرب ما يكون إلى وحدة الأديان التي قالت بها البهائية التي تؤمن بالأديان السماوية ، بالإضافة إلى مجموعة من الديانات الوضعية مثل الديانات القبلية والبراهمة والبوذية، والزرادشتية، والبابية بما في ذلك البهائية.
- انطوى مشروع "كونج" الرئيس على تحقيق السلام العالمي بين الأديان الثلاثة من أجل تحقيق القيم الإنسانية الكونية، فهو لا يريد للأديان أن تكون مجالًا للصراع، والجدل العقيم بل مجالًا للتفاهم والتحاور.
- إن الدين والعقلانية عند" كونج" وجهين لعملة واحدة؛ لذلك طالب "كونج" بتبني حوار واضح مع النظم المختلفة للاهوت ، وذلك لأن اللاهوت في رأيه ينبغي أن يتعامل مع المتدين وغير المتدين والعلماني، واللاأدري، أضف إلى ذلك فقد تبنى حوارًا نقديًا بين الفلسفة واللاهوت من جهة والعلوم الطبيعية من جهة أخرى.
- إن الحوار بين الأديان عند "كونج" له هدفان: الهدف الأول ماسوني باطني لا ديني يرفع شعار وحدة الإنسانية من أجل الإعلاء من مشروع الأخلاق العلمانية العالمية، وهدف ظاهري يكمن في التعامل مع جوهر الأديان، وأنه لا تعارض بينهما في استخلاص المبادئ والأسس الدينية، وبالتالي فقد أبقى "كونج" على وحدة المقصد الإلهي، ومقصد الشريعة المتمثل في المعاملات بين البشر بغض النظر عن صورة الكنيسة.
- لا يؤمن "كونج" بالكتاب المقدس بشكل مطلق، وإنما يدعو إلى إعادة فهم النصوص التي يغلب عليها الطابع الإنساني التي تعد شهادات إنسانية عن الوحي الإلهي.
- إن نصوص الكتاب المقدس– في رأي "كونج"– ليس نصوصا مكتملة أو دقيقة كل الدقة ولكنها أفكار يغلب عليها الطابع الأسطوري الذي يخاطب العاطفة ليضفي نوعًا من القداسة الزمانية والمكانية على بعض الأحداث، وكل هذه النصوص لا تصمد أمام العقل.
- إن "كونج" لا يبحث عن حقائق خفية مشتركة بين أديان العالم وثقافاته وحضاراته ولكنها حقائق موجودة بالفعل أراد أن يضفي عليها طابع العولمة.
- نادى كونج بمعاملة جميع البشر معاملة إنسانية أي أنه سعى إلى تطبيق مبدأ الأخوة العالمية المغلف بالماسونية، ونادى مرارًا، وتكرارًا في كتاباته بما يسمى بالقاعدة الذهبية" لا تفعل بالآخرين ما لم ترضه على نفسك".

- إن الأخلاق العالمية عند "كونج" هي شرح وتأويل لكل ما جاء في الأديان من وصايا وعظات أخلاقية تهدف تدعيم القيم المشتركة أو التقاليد الدينية الثابتة، فالأخلاق العالمية يشترك فيها المتدين وغير المتدين.
- لقد بالغ "كونج" في المثالية الحداثية عندما خُيل له أن العالم بإمكانه تحقيق أخلاق عالمية تكون محل إجماع كل دول العالم.
- إن معظم كتابات "كونج" بعد تحوله من اللاهوت التقليدي إلى ما بعد الحداثة هي في مجملها دعوة للإصلاح ودعوة لما ينبغي أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية خاصة والكنيسة المسيحية عامة مستندًا على خبراته بضرورة إعادة تأويل اللاهوت التقليدي بمصطلحات حديثة من منظور ذاتي تفكيكي.
- إن وجهة نظر "كونج" اللاهوتية اتسمت بالتطور من مشكلات موجودة داخل الكنيسة فانتقل من هوية الكنيسة إلى هوية المسيحي، ومنها إلى قضية العصمة التي رفضها بوصفها صناعة إنسانية وليست إلهية، ومنها إلى مساندة اللاهوت النسوي ونقده الكنيسة في هذا الصدد، ومنها إلى موضوعات تتعلق بالنصوص المقدسة، ومنها إلى موضوعات عالمية مثل الحوار والمشروع الأخلاقي مع محاولة الحفاظ على المنظور المسيحي، ثم أخيرًا قضية الكريستولوجيا.
- لقد اختزل" كونج" جُل مشكلات العالم وخلافاته في الجانب الأخلاقي؛ ومن أجل ذلك أسس مشروعه في الأخلاق العالمية الذي يتعارض مع نظرية صدام الحضارات، ويركز على علاقة الإنسان بالإنسان، وهو مشروع عادل للجميع اعتقد أنه كفيل بحل كل المشكلات ليس هذا فحسب بل والبعد بالعالم عن العنف والحروب، ونادى بالتسامح بوصفه الحد الأدنى من المتطلبات الأساسية للتعايش السلمي.

أهم المصادر والمراجع

- **الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠م.**

أولاً: المصادر:

أ-مؤلفات هانس كونج المترجمة من الألمانية إلى العربية (مرتبة أبجديًا):

١- كونج (هانس): لماذا مقاييس عالمية للأخلاق (الدين والأخلاق في عصر العولمة) ترجمة من الألمانية: ثابت عيد، المركز القومي للترجمة، العدد ١٩٩٩، القاهرة، ٢٠١٥م.

٢- ــــــــــــــــــــــــ: هوية المسيحي، فصول اقتبسها ونقلها إلى العربية صبحي حموي، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٦م.

٣- ــــــــــــــــــــــــ ، و فان اس (جوزيف): التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام ترجمة د/ السيد محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

ب-المصادر الإنجليزية والمترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية التي اعتمدنا عليها من مؤلفات هانس كونج (مُرتبة أبجديًا):

1- Kung (Hans): A Global Ethics for Global Politics and Economics, Trans. by John Bowden, Oxford university press, N.Y, Oxford, 1998.

2- ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: Cardinal Ratzinger, pope Wojtyla and fear at the Vatican: An open word after long science, An Essay in the church in Anguish, ed., by Hans Kung and Leonard swindler: Has the Vatican betrayed Vatican II ? Harper and Row publishers, San Francisco, N.Y, 1986.

3- ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: Christianity: Essence, History and future, Trans from the Germany by John Bowden, Continuum, N.Y, 1995.

4- ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: Commemorative Address, Niwano peace Foundation, 22nd Niwano peace, Buddhist - Christian studies, Vol. 26, university of Hawaii press, 2006, p.p 203-208.

5- ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: Does God exist? An Answer for today, SCM press, London, 1980.

6- ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ: Eternal life? Life after death as medical philosophical and Theological problems, Trans by Edward Quinn, Image Books, Garden City, N.Y, 1985.

7- ــ: Global Responsibility, in search of a new world ethics cross road publishing, N,Y, 1991.

8- ــ: Infallible? An inquiry, Trans. By Edward Quinn, Doubleady, N.Y, 1971, p. 215.

9- ــ: Islam: past present and future, Trans by John Bowden, one world publications, England, 2007.

10- ــ: On Being a Christian, Trans. by Edward Quinn, Doubleady and company Inc. Garden cit, N.Y, 1976.

11- ــ: The Catholic church: A short History, Trans. by John Bowden, Weidenfeld and Nicolson, London, 2001.

12- ــ: The Church, Image Books, Garden City , N.Y, 1976.

13- ــ: Why I am still a Christian, trans. by David smith, A Bringdon press, Nashville, U.S.A, 1987.

14- ــ: Woman in Christianity, Trans. by John Bowden, continuum, London and N.Y, 2005.

15- ــand Lapide (Pinchas): Brother and Lord, Collins Co., U.K, 1977.

ثانياً: مقالات هانس كونج المترجمة إلى العربية (مُرتبة أبجديًا):

١- كونج (هانس): الأخلاقيات العالمية والتعليم في التسامح، ترجمة بهجت عبدالفتاح عبده، مجلة ديوجين، العدد:١٧٦، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، ١٩٩٦، ص١٠١-١١٢.

٢- ــــــــــــــــــــــــــــــ: الدين والعنف والحروب المقدسة، ترجمة سمية المحفوظي ومحمد يوسف إدريس (ترجمات قسم الدين وقضايا المجتمع الراهن)، سلسلة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ٢٠١٧م، ص١- ٢٢.

٣- ــــــــــــــــــــــــــــــ: العلم والدين بداية كل الأشياء، وهل يمكن أن تكون هناك نظرية واحدة لكل الأشياء؟ ترجمة د. صلاح عثمان، و د. بهاء درويش مراجعة د/ جهاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العتبة المقدسة، العدد ١٣، خريف ٢٠١٨م، ص١١٨- ١٥٣.

٤- ــــــــــــــــــــــــــــــ: و ربكور (بول): من أجل أخلاق أممية (مناظرة أدارها الكاتب الفرنسي برونو شارميه)، ترجمة هدى الناصر، مراجعة البير

شاهين، مجلة الاستغراب، السنة الثانية، العدد ٢٤، العتبة المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٦م، ٢٧٨- ٢٩٤.

ثالثاً: مقالات ودراسات عن هانس كونج (مُرتبة أبجديًا):

1- Basuki (Singgih): Interreligious Dialogue: from coexistence to proexistence (understanding the view of Mutki Ali and Hans Kung, Umeran international journal of Islamic and civilization studies, Vol.5, No. 2, 2018, p.p 67-78.

2- Boll (Father John E): Archbishop Fulton J. Sheen and father Hans Kung differ in their views about women's ordination Sacramento Diocesan Archives, Vol. 2, No. 88, August 12, 1976, p.p 1-6.

3- Chan (Stephen): Rorty as shadow warrior: Hans Kung and global ethics, Review of international studies (25) British International studies Association, 1999, p.p 525-530.

4- Espinosa (C. Enrique): Orthodoxy and Hersey in Hans kung: An analysis and Critique of his criteria and Norms of Christian truth and error, PhD in philosophy, Andrews University, Michigan, 1988.

5- Falk (Richard): Hans Kung's Crusade: Framing a global Ethics, International journal of politics culture and society, Vol. 13, No.1, 1999, p.p 63-81.

6- Fenn (Richard K).: Toward a Global Ethic: A response to Hans Kung, International Journal of politics, culture and Society, Vol.13,No.1, 1999, p.p 41-61.

7- Hodgson (Catherine): Roman Catholic Theological attitudes to Judaism since, 1945, Master of Arts in theology, Durham university, 1988.

8- Kuokkanen (Aleksi): Constructing Ethical Patterns in time of Globalization, Hans Kung's Global Ethic Project and Beyond, Academic dissertation, Faculty of Theology at The university of Helsinki, 2010.

9- Morgan (Richard): peace among religions: Hans Kung's analysis of Christian and Muslim pardigims of social justice in search of Global Ethic, Forum Public Policy journal of Academic perspectives, No. 1, Volume, 2011, p.p1-23 .

10- Smiut (Corneliu C): A critical study of Hans Kung's Ecclesiology from Traditionalism to Modernism, Palgrave, Macmillan, N.Y, 2008.

رابعًا: دراسات ومقالات عربية عن هانس كونج (مُرتبة أبجديًا):

١- الحشاش (هيام عبدالعزيز): صورة الطبيعة البشرية بين الأديان الإبراهيمية عند هانس كونج، رسالة دكتوراه غير منشورة، تحت اشراف أ.د/ محمد عثمان الخشت، أ.د/ عصمت نصار، جامعة بني سويف، ٢٠١٩.

٢- عناية (عز الدين): الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها: هانس كونج نموذجًا، مجلة التفاهم، العدد ٣٥، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، السنة العاشرة، شتاء ٢٠١٢م، ص ٢٠٥-٢٢٠.

٣- نيا (حميد رضا): العلاقة بين العلم والدين برؤية هانس كونج، مقال ضمن كتاب اللاهوت المعاصر (٢) دراسات نقدية (العلم والدين) العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت،٢٠١٩م، ص٤٣٩-٤٦٧.

خامسا: مراجع ودراسات متخصصة في فلسفة الدين واللاهوت ذات صلة وثيقة بموضوع البحث (مُرتبة أبجديًا):

1- Buber(M): I and Thou 2nd edition, trans by R.G.Smith,Charles Scribners sons,N.Y,1947.

2- _____Two Types of Faith, trans. by Norman P. Gold Hawk, Harper and Brothers, N.Y, 1961.

3- Bultmann(R): New Testment and Mythology and other Basic writings, selected, edited and trans. by Schubert Mogden, fortress press, Philadelphia, 1984.

4- Casanova (Jose): The sacalization of the jumanum: A theology for Global, international, Journal politics, culture and society, Vol. 13, No. 1999, p.p 21- 40.

5- Russel (Bertrand): Why I am not a Christian www.document available at: http://fly.to/russel maintained by Ryan Bredon. 1997.

6- Schleiermacher (Friedrich): The Christian faith, 3rd edition with introduction by paul T. Nimno, Bloomsbury publishing PIC, Tand clark, London, 2016.

سادساً: أهم المراجع العربية والمترجمة إلى العربية (مُرتبة أبجديًا):

١- الخشت (د . محمد عثمان): المشترك بين الأديان والفلسفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م.

٢- تسلمان (جانر): خطابة الإرهاب، وخطابة الجهاد "تقييم فلسفي ولاهوتي" ترجمة إسلام سعد مقال ضمن كتاب كيلي جيمس كلارك: أبناء إبراهيم ترجمة اسلام سعد، علي رضا، وسلمى العشماوي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

٣- تيليش (بول): الوجود الجيد، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد، دار الكلمة، LOGOS القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤- سبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة د فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت .

٥- كانط: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبدالغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٥م.

٦- ــــــــــــــــــــــ: مشروع للسلام الدائم، ترجمة د. عثمان أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢ م.

٧- نصر (د/سيد حسين): الحاجة إلى علم مقدس، ترجمة د/ حمادة أحمد علي، وعمر نور الدين، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م .

٨- هيركومر (هوبرت): صورة الإسلام في الأدب الألماني الوسيط ضمن كتاب صورة الإسلام في التراث الغربي، دراسات ألمانية في التنوير الإسلامي رقم ٤١، ترجمة: ثابت عيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.